

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العلي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر – باتنة –
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

المعاني الوظيفية لمباني التصريف والتركيب في معلقة طرفة بن العبد
– لخولة أطلال-

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

تخصص : لسانيات اللغة العربية

أعضاء لجنة المناقشة :

العضو	الرتبة	الصفة	الجامعة
لخضر بلخير	أستاذ محاضر	رئيسا	باتنة
السعيد هادف	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	باتنة
عبد الكريم بورنان	أستاذ محاضر	مناقشا	باتنة
محي الدين سالم	أستاذ محاضر	مناقشا	قسنطينة

إشراف الأستاذ الدكتور : السعيد هادف

إعداد الطالب : رزوق النواري

السنة الجامعية : 2008 / 2009 .

الإهداء

إلى روح والدي العزيز رحمه الله

إلى الأستاذين الكريمين :
أ.الدكتور : السعيد هادف و الدكتور: لخضر بلخير مع كامل المحبة والتقدير .

..... اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني ، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان ، وهي في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم ، وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها دلالة على المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني ...

ابن خلدون : المقدمة

..... من لم يكن عالما بإجراء المياه ، وحفر فُرض المشارب ، وردم المهوي ، ومجاري الأيام في الزيادة والنقص ، ودوران الشمس ، ومطالع النجوم ، وحال القمر في استهلاله وأفعاله ، ووزن الموازين ، وذرع المثلث والمربع والمختلف الزوايا ، ونصب القناطر والجسور والدوالي والنواعير على المياه ، وحال أدوات الصناعات ، ودقائق الحساب ، كان ناقصا في حال كتابته ...

ابن قتيبة : أدب الكاتب

مقدمة :

عندما يتعلق الأمر بموضوع اللغة ، يشهد البحث تشعبات مختلفة باختلاف القضايا التي تُثيرها اللغة ، موضوعا ومنهجاً ، من حيث طبيعتها ونظامها ومستويات ذلك النظام ، ومناهج البحث فيها ، وأبعادها الوظيفية .

وعلى مستوى البعد التحليلي للغة تنشغل إجراءات التحليل بتحديد المعنى اللغوي عن طريق الفرز الشكلي لعناصر الحدث اللغوي في كل المستويات ، حيث يكون التركيز على الكلمة "كأصغر وحدة حرة ذات دلالة قادرة على تكوين جملة ، تتكون بدورها من مجموع فونيمات " فالكلمة إذن هي جسم المعنى بوصفها شكلا له محققا في " تتابع صوتي " ذي طبيعة اصطلاحية في عرف اللغة ، وترتكز اللغة في أساسها على هذين البعدين ، بعد المعنى وبعد المبنى ، وتلعب الكلمة فيها دورها المعروف ، متدرجة عبر المستويات المعروفة للغة ، مُحدثة المعنى المقصود من وراء استعمالها . فالتحليل يراقب استعمال الكلمة معنىً ومبنىً عبر محطات شكلية عديدة في المستوى الصوتي لها ثم صيغة بناءها ثم معناها المستخلص من التركيب إلى مراقبة القرائن السياقية الأخرى المحيطة بها " لأن المعنى المستخلص من الشكل اللساني يتعرف من خلال مجموع استعمالاته وتوزيعاتها ، وعبر أنواع الربط التي تحكمه .. ولا يتضح إلا بإجراء دراسة دقيقة لمجموع السياقات " .

وأما على مستوى التركيب" ، فإنّ مسألة النظم التي يُراعى فيها ترتيب الأشكال (الألفاظ) بحسب ترتيب معانيها في النفس" فهي التي تحدّد البعد الوظيفي للغة المتكلم ، ذلك أنّها تطرح مسألة الأسلوب ومكوناته . فقد تحمل منظومة الكلام محتوى إخباريا عاديا يُنشئ نصّاً تواصليا إعلاميا ، وقد يفرض النظم في جهته التأليفية نوعا من علاقات غير عادية بين عناصر التركيب ، فيصبح خرقا للسُنن وتطاولا على المألوف ، تكون اللغة فيه تأثيرية جمالية أكثر منها تواصلية ، وهذا ينطبق على الممارسات الإبداعية ذات الأنظمة اللغوية المعقدة جدًا .

والبحث العلاماتي في هذه الأنظمة يقول كيولر : " يكون غاية في الوثاقة وغاية في الصعوبة " وتحمل النصوص الأدبية مجموعة لا متناهية من القيم الاجتماعية في جميع صورها النفسية والثقافية واللغوية تجعل البحث فيها تراكمياً منبئياً على مجموعة من القيم المعرفية مثلما هي النصوص الأدبية نسيج لهذه القيم .

وفي هذه الدراسة المتواضعة تأكيد على ضرورة مراعاة كلّ القيم الأدبية للنص ، والتركيز على الوظائف التعبيرية المستخلصة من الشكل التعبيري للنص عن طريق إيجاد تفسير مُرضٍ لطبيعة

الوضع المتميز للبنى الصرفية والتركيبية في نسيج النص ، وهو تفسير ينطلق دوما من مقولات لغوية " نحوية وصرفية " هي المادة الخام للدراسة ، ويحاول أن يجعل هذه المقولات تنسجم في القناة التفسيرية مع جوهر النص الأدبي .

وهذا يقرر جملة من أمور ترتكز عليها الدراسة هي :

أنها دراسة لغوية نقدية تتأى بنفسها عن النزعة التشرحية الأولى لمظاهر التطبيقات البنيوية ، بل يُنظرُ إليها على أنها جملة من قواعد منهجية يجب الاعتماد عليها في توجيه المعاني الوظيفية هناك والارتقاء بها إلى نسق فكري يجعلها تنسجم مع أدبية النص ، حيث تنظر الدراسة إلى المدونة على أنها علامة غير عادية تفرض تعاملًا من نوع خاص يسعى التحليل فيه إلى تجاوز البعد الوصفي لمظاهر التأليف في النص بفعل التشریح ، إلى إعادة خلقه فنيًا على أنقاض ذلك التشریح الذي لا تنكشف معه جماليات النص إلا بفعل المساءلة الواعية التي تحترم الأسس العلمية اللغوية التي تقوم عليها البنى النصية من جهة وطبيعة العمل الأدبي من جهة أخرى ، بوصفه جملة من انفعالات مبنوثة فيه .

هذا ما يبرر التعدد المنهجي في السلوك التحليلي للدراسة ، حيث لا تريد أن تقع رهينة رؤية أحادية مغلقة تفرض قراءة جزئية على النص ، فهي تحتكم دائما إلى مبدأ النظر في المصدر الأوسع للنص لتضمن لنفسها قراءة نموذجية تستمد وجودها من الوجود الشرعي للنص المدروس.

وتهدف الدراسة أساسا إلى إحداث نوع من التوازن بين المناهج الألسنية في واقع التحليل ، من خلال الاستفادة في كل مرة من عناصر منهجية مختلفة لتحقيق التكامل والنجاعة في التحليل ، مع التركيز دوما على المعنى الوظيفي للعناصر المقصودة بالتحليل وعلاقتها بالبنية الداخلية والخارجية للنص للوصول إلى الإشكال المطروح لسانيا حول طبيعة كل من البنية والوظيفة ، وأي منهما يحدد الآخر .

ولست أعلم دراسة بنيوية بهذا الشكل كنت بها مسبوقا إلى تفسير هذه المدونة إلا إذا اعتبرت بعض الدراسات اللغوية الفنية كالتي سأعلق عليها في الفصل التمهيدي ، وهي للدكتور محمد صديق بشير تحت عنوان : معلقة طرفة " قراءة جديدة " وهي فصل في كتابه الموسوم " المعلقات السبع دراسة في الصور والأغراض والأساليب . " تضاف إليها دراسة أسلوبية للأستاذ " خليفة بوجادي " كان قد ركز فيها على الجانب التركيبي لتحديد أنواع الجمل .

وقد استوعبت الدراسة ثلاثة فصول على الشكل التالي :

الفصل الأول جعلته نظريا أمهّد فيه للفصلين التطبيقيين ، كانت لي فيه وقفة تاريخية بسيطة مع المناهج النقدية الألسنية ذات التوجه البنيوي بشكل خاص ، حاولت أن أبين من خلالها طبيعة الرؤية المنهجية التي أتبعها في تحليل بنية النص المدروس ، ونبذة جد ميسرة عن ملامح البيئة الجاهلية ، ركزت فيها على الجانب التأثيري لها على الأدب الجاهلي ، كما أبدت موقفا شخصيا من مفهوم الوصفية التي يطلقها النقاد وكتاب التاريخ الأدبي على الأدب الجاهلي ، وآخر نقطة في هذا الفصل تحدثت فيها عن مفهوم الوظيفة وطبيعة التحليل الوظيفي المتبع في الدراسة .

أما الفصل الثاني فجعلته لتحليل المعاني الوظيفية للبنى الصرفية وذلك عبر مستويات أربعة هي : تجريد البنية وتحديد عددها ثم ضبطها في نسبة مئوية بعد تحديد معانيها من خلال السياق ثم تأويل تلك المعاني بما ينسجم وطبيعة النص الأدبية ، وقد اعتمدت في تحليل البنى الصرفية على النظرية القديمة لأقسام الكلم " نظرية التقسيم الثلاثي للكلم " الاسم والفعل والحرف ، فتناولت المباني الاسمية فقسمتها بين الجامد والمشتق وما يندرج تحت كل واحد منهما من أنواع تحمل دلالات فرعية خاصة بها ، ثم مبنى الفعل وركزت فيه على توزيع معنى الحديثة عبر الشرائح النصية ثم تجريد نسب الدلالة على الزمن الفلسفي في النص (ماض ، حاضر ومستقبل) ، وألغيت الزمن النحوي من التحليل ذلك أن الدراسة ليست أسلوبية محضة . ثم مبنى الحرف وقد ركزت فيه على ستة أحرف تكرر ورودها في النص بشكل أضفت به مسحة أسلوبية عليه ، وقد تم فحص معاني هذه الحروف أسويا بالشكل الذي يساعدنا على فهم دور هذه الحروف في المحافظة على الانسجام في النص بين الشكل والمضمون ، ومطابقة مبانيه لمعانيه ، متبوعة بخاتمة جامعة لأهم النتائج المتحصل عليها في الفصل .

أما الفصل الثالث فجعلته لتحليل المعاني الوظيفية للبنى التركيبية ، فقسمت فيه البنى التركيبية إلى قسمين ، التراكيب الإسنادية والتراكيب غير الإسنادية ، وعلى مستوى القسم الأول قمت بتحديد دلالات كل من الجملة الاسمية والفعلية ، ثم تحديد دلالات اختيار الأنماط لكل جملة ، لأستأنف التحليل بعدها في علاقات الجملة الفعلية ، فابتدأت بدلالات جمل اللزوم والتعدي ثم تحديد دلالات علاقات التعدي في الجملة الفعلية . وعلى مستوى التراكيب غير الإسنادية تم فحص دلالات استعمال كل من التركيب الوصفي والتركيب الإضافي في الشق الأول ، ثم تحديد دلالات علاقات التركيب الإضافي في الشق الثاني متوجا بخاتمة جامعة لأهم النتائج المتحصل عليها في الفصل . لأخلص في النهاية إلى خاتمة للبحث أجملت فيها الحديث عن طبيعة الدراسة والمنهج والنتائج .

أما العوائق والصعوبات فليس يخلو عمل الإنسان منها قُلت أو عظمت ، ولعلها حافز التحدي في كثير من الأحيان ، ودافع المنافسة بين الناس ، وقيمة كل عمل إنما تنكشف بها . وإن كان لا بد من ذكر بعض ما اعتور الدراسة منها، فأولها صعوبة اقتناء المراجع والحصول عليها من المكتبات الرسمية ، وافتقادها لدى الأشخاص بسبب تخصصها ، إضافة إلى ارتفاع أسعارها في الأسواق والمعارض ما يجعل اقتناءها أمرا في غاية الصعوبة في ظل أخطبوط البطالة والعجز المادي الرهيب الذي يتهدد النخبة في بلادنا.

وقد تراوحت المراجع المعتمدة في الدراسة حسب الحاجة إليها بين لغوية بالدرجة الأولى وأدبية ثانيا ، قديمة وحديثة ، أذكر منها : ديوان طرفة ابن العبد، الكتاب لسيبويه، الخصائص لابن جني شرح المعلقات السبع للزوزني، الكشف للزمخشري، دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني، مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري، البيان والتبيين للجاحظ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، الجمل في النحو للخليل بن أحمد الفراهيدي، الجامع في تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري، مدخل إلى علم اللغة النصي ديتر فيهفيجر و فولفجانج هايني منه : ترجمة فالح شبيب العجمي، تاريخ الأدب العربي لريجيس بلاشير : ترجمة إبراهيم الكيلاني، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة لمصطفى فاضل الساقى، المعلقات السبع دراسة للصور والأغراض والأساليب لمحمد صديق بشير، اللغة العربية معناها ومبناها لأبي وحيد تمام حسان، نظرية الأدب لرينية ويليك وأوستن وارين : ترجمة محي الدين صبحي، نظرية البنائية في النقد الأدبي لصلاح فضل، المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة لعز الدين المجدوب، النحو الوافي لعباس حسن، لسان العرب لابن منظور .

وقد دعاني إلى اختيار هذا الموضوع أمران : الأول رغبتني في الاشتغال على النصوص الإبداعية في الدراسات اللغوية بوصفها نصوصا تستقطر كل المقولات اللغوية لتفسيرها وزيادة .. والثاني التحقق من جدوى نجاعة البدائل الألسنية في التطبيقات الأدبية .

وفي الأخير أريد أن أوجه كلمة شكر وامتنان لأستاذي بالترج وما بعد التدرج وما حييت أدرج الأستاذ الفاضل الذي لم ييخل علي بالنصح والتوجيه مرة وبزرع الثقة والتشجيع مرة أخرى ، الأستاذ الدكتور : السعيد هادف . ولجميع الأسرة البيداغوجية لقسم اللغة العربية وآدابها بوجه عام ولأساتذة مشروع ماجستير لسانيات اللغة العربية لسنة 2006 / 2007 . خاصة :

حضرات الأساتذة والدكاترة : السعيد هادف، بلقاسم ليبارير، فرحات عياش، الشريف ميهوبي،
لخضر بلخير، عبد الكريم بورنان ، عبد الحميد دباش.

والله ولي التوفيق

الفصل الأول

1. تمهيد :

لا أحسب الرغبة في احتكار الضمير الأدبي للجماعة الأدبية مشروعاً ممكناً يجد طريقه سهلة إلى الجمهور الأدبي ، ولا أراه أمراً ميسوراً على أصحاب النزعات النقدية المغرقة في التنظير للأدب خارج الشروط الموضوعية له حين تندفع لمهمتها تحت تأثير المطالب الفلسفية الخاصة برؤية اقتصادية أو سياسية مرحلية ، وإن حالفها بعض التوفيق فيما تروم فإنها سرعان ما تتعثر أمام المد المتصل لصوت الأدب و تماسك الضمير الأدبي للجماعة عبر التاريخ ، اللذين لا يعرفان التقطع و لا التراجع كما هو حال المسيرة النقدية .

إن الفعل الأدبي واحد وسيظل كذلك ، وإن الفعل النقدي متعدد وسيظل كذلك ، هكذا أفهم أن الأدب جوهر و أن النقد عرض ، تختلف الأعراض و تتعدّد والجوهر واحد من جميع الوجوه كالشمس تنعكس على أجسام مختلفة ، فتختلف آثارها و هي في كل ذلك واحدة حتى في لحظات الغياب .

إن مقولة ضرورة تجديد الأدوات النقدية في كل مرحلة تاريخية ، تعطي انطباعاً عن اعتراف ضمني أو صريح من النقد بفشله الذريع في محاولة استنثائه بقراءة الأدب تعليقا وتوجيها ، لقد اعتبر الأدب في الشعر العربي القديم ، مصدراً من مصادر التاريخ مضافاً إلى الأنساب والأخبار والأيام حتى سمي ديوان العرب ، ثم عُوْمِلَ بعدها معياراً دقيقاً فيما يتعلق بالأساليب اللغوية الصحيحة والعودة إليه لتفسير الآيات القرآنية والآثار النبوية ، إلى الوصف العلمي له واستخلاص القواعد المطردة في كلام العرب ، استجابة للمطلب الحضاري آنذاك ، ثم إلى اعتباره قيمة تعليمية تربوية في سياق ثقافة الأمة . حتى أفردت له التصانيف وتخصص بالبحث فيه من تخصص وعُدّ ضرباً من الصنعة لطيفاً وعبارةً من القول تشبه السحر ، فاحتدم الصراع و طال الجدل فيما يكون الانتصار فيه للشعر أولى " المعنى أو اللفظ " .. ؟ ثم أسفر السجال عن حقيقة واحدة .. " اشتعل البحث في الأدب وانطفأ الأدب في البحث " ، و هي نتيجة مُرضية و متوقعة دائماً في العلاقة التاريخية بين الأدب و النقد .

إننا إلى هذا اليوم نشهد تازماً في العلاقة بينهما ، وهو ما أسفرت عنه مناهج القرن التاسع عشر والقرن العشرين من قصور ، وعدم قدرتها على سد الثغرات التي تهدد أسوارها . فإننا بقدر تعدد المناهج النقدية نجد تعدد الصور التطبيقية للمنهج الواحد ، فالحديث عن منهج تاريخي يضعنا أمام مذاهب تاريخية ، وكذلك المنهج الاجتماعي والنفسي ، وحتى في الأيام الأخيرة من ازدهار العلوم اللغوية وما أفادته الدراسات الأدبية من معطيات اللسانيات الحديثة ، نجد أنفسنا أمام التنامي السريع

للمناهج اللغوية البنيوية (مناهج الحداثة و ما بعد الحداثة) ، بحيث نجد صعوبة في فرز المنطلقات اللغوية الحقيقية لهذه المناهج ، على خلفية كونها جذعا مشتركا بينها .

و إن هذه المناهج الألسنية نفسها ، وإن أمسكت عن القول بتسفيه بعضها ، إلا أنه يُصرّح كل منها بالتقدم على الآخر ، و في اعتقادي أن المناهج الحديثة أصبحت تدرك اليوم أكثر من أي وقت مضى ، أن السلطة الحقيقية إنما هي للأدب لا للنقد . الأمر الذي جعلها تتأى عن الخوض في الحكم على المناهج الأخرى ، كما علمت أن الأثر الأدبي طريفة شاردة قد يُقوى على شيء منها فقط بكثرة الرّمي ، حينها وُجدت دعوات في الشرق والغرب تنادي بتداخل المناهج من أجل تكثيف الحس النقدي إزاء الأثر الفني ، تكثيفا يسمح بخلق بديل ألسني في النقد الأدبي يتجه به نحو العلمية و الموضوعية المستمدة من النظرية اللسانية ، إلا أن هذا التداخل و التفاعل بين المناهج وإن بدا أكثر جدية مع الأثر الأدبي من النظرة المنهجية الأحادية ، إلا أنه ظل يعترف هو الآخر بوجود قصور كبير لديه في تفسير طبيعة الأثر الفني خلقا وتأثيرا ، وغادر مقولات الشرح والتفسير إلى مقولة " المقاربة " ، فضمن بهذا التوجه لياقة منهجية ومعرفية غير مسبوقة في تاريخه عندما التزم الحدود الرسمية له على خارطة الأدب .

في هذه المرحلة بالذات ، أرى أن الأدب أصبح أكثر انتقادا عندما أصبح النقد أكثر تأدبا .. هكذا هو الأدب للنقد جارية عصيّة لا تجود بأكثر من الملامسة ، و هكذا هو النقد للأدب طفل لا ينثني عن الطلب حتى يقع في الفاحشة .

إذا استثنينا الأوساط الأكاديمية وجمهور النقاد ، فإن الجمهور الأعظم للأدب تجد أذهانهم خالية من أبسط الأحكام النقدية التي وضعها المتخصصون في الوقت الذي تجد فيه جماجمهم ممتلئة أدبا ، كما هو الشأن في جميع الأزمان ، و في ذلك أمانة على أن الموضوع الذي يطل منه النقد اليوم على الأدب غير آمن وإن هو بدا أكثر أمنا مما سبق .

ليس هناك من تفسير لهذه المفارقة التي يقف عندها النقد واجما إلا بنفي التوازي المزعوم بين النقد والأدب ، ورفض التقابل بينهما بحجة اتحاد موضوعهما ، إذ أن القول باتحاد الموضوع فيهما مغالطة سافرة ، باعتبار أن موضوع النقد الأدب ، وموضوع الأدب تجربة فردية متميزة ، والنقد يتخذ لنفسه منهاجا بينما الأدب لا منهج له ، بل يمنهجه النقد في أكثر الأحوال تعسفا . ولأن النقد عملية اكتشاف ذات طبيعة علمية " بينما الأدب عملية اكتشاف ذات طبيعة صوفية في جوهرها " (1) . وفي الوقت الذي يفتقر فيه الأفراد إلى النزعة العلمية لا تخلو فيه ذات من نزعة صوفية

تجعل كلا من الكاشف والمكشوف له في علاقة متوازية ، الأمر الذي يفسر تحجم جمهور النقد في جنب جمهور الأدب . وليس في ذلك من عيب على النقد أن يكون قاصرا عن فهم الظاهرة الأدبية أو يقلّ جمهوره ، إذ ليس في ذلك أكثر من الإقرار بطبيعته وحقيقته ، ولكن عيب النقد أن يكون مُقصرا في جمع ما يحيل على تفسيرها ، أوحين تنقح فيه شهوة السيطرة ومصادرة الضمير الأدبي في التعاطي مع الظاهرة الأدبية ، وهو معنى الفاحشة المشار إليه آنفا .

لا بد للأدب من مخرج ولا بد للنقد من منهج ، فالأدب بلا مخرج مشروع غير موجود والنقد دون منهج عبث مردود .

إن التحول الذي طرأ على المنظومة النقدية المعاصرة في مجال موقف النقد من النص الأدبي ، والتخلي عن جميع الأهداف لحساب تركيز العناية على " أدبية النص " لا يُعدّ تطورا كبيرا في نظري ، وليس أدلّ على ذلك من عدم اتفاقهم على مفهوم الأدبية في النص ، هل وليدة تركيبته اللغوية أو شيء تتحدد به وراء مظاهر التشكيل اللغوي؟.. وعندما أقول ليس تطورا كبيرا فبالنسبة لموضوع الأدب نفسه لا لتاريخ النقد ، فقد يكون هذا التحول أوثق العرى يتشبث بها النقد إلى أجل ما إذا ما قيس بحجم الانهيارات التي أصابته في القرون الماضية . وعندما يطمئن المرء إلى المناهج اللسانية الحديثة عليه أن ينتبه إلى تطبيقاتها على النصوص حتى ينظر له جيدا من رديتها ويتميز العناصر القابلة منها للتفاعل " لأننا مازلنا في بداءة كيفية تحليل عمل فني بتمامه إذ لا تزال مناهجنا شديدة الفجاجة ولا يزال أساسها النظري شديد الانزياح" (2) فالإطار النظري الذي يشتغل عليه النقد الألسني اليوم معقد لدرجة دفعت بالكثير إلى تجافي الطرح النقدي المعاصر والاطمئنان إلى معارف بسيطة ، ولكنّ " وعيا واضحا لمخطط علاقات بين المناهج هو في ذاته علاج ضد الارتباك العقلي حتى لو اختار الفرد بين مناهج متعددة (3) . وإذا أضحي الجمع بين

(1) : رينيه ويليك. نظرية الأدب. تر: محي الدين صبحي . ص 129.

(2) : المرجع نفسه. ص : 284

(3) : المرجع نفسه ، ص : 284

معطيات مناهج مختلفة في الوقت الراهن مطلباً ضرورياً لتحقيق التكامل في عملية النقد فإنه يشترط لذلك أمور منها: " ألا يكون تكاملاً ملفقاً مفتعلاً ، كما يجب أن يتم بين عناصر قابلة للاتساق المعرفي وليست متناقضة ، وتوظيفه لاستكمال الإجراءات التي تؤدي إلى نجاعة التحليل" (1) .

إن التعارض الذي يبدو من نظرة بسيطة بين هذه المناهج ، أمر يتلشى تدريجياً في مجال التطبيق إذ سرعان ما يهرع كل منهج إلى إصلاح الخلل الذي يعتريه أثناء الممارسة النقدية ، فجنده يكرس رؤية تطبيقية تتحدر من صلب منهج آخر يتداخل معه بشكل ما ، و يحدث هذا كثيراً في المناهج المتباعدة نظرياً فضلاً عن المناهج البنيوية المشتركة في أصل التنظير .

و الحقيقة أن البنائية ليست بدعة نظرية أو أحدثة فكرية غير مسبقة من حيث التطبيق ، وإنما هي وعي بمفهوم البنية نفسه في المرحلة التاريخية . يقول دريدا : " لما كنا لا نزال نعيش في عصر الخصوبة البنيوية فمن السابق لأوانه أن نسرع بجلب حلماً ، يجب أن نفكر إزاءه بما يعنيه، فالنقد الأدبي بنوي في كل عصر بفعل جوهر وبفعل مصير ، لم يكن ليعرف ذلك وأصبح يدركه الآن " (2) . و معنى ذلك أن كل نشاط نقدي مهما كانت صورته فهو يتوجه أساساً إلى مساءلة العمل الأدبي بوصفه إطاراً دلالياً يتكون من مجموعة من الرموز تتسم " بالشمول و التحول و التحكم الذاتي " (3) ، و ليس للنقد البنيوي الحديث مزية أكبر من وضع هذه المصطلحات التي تضبط مفهوم البنية و تحدد خصائصها ، و من ثم مجال عمل الناقد على مستوى البنية الأدبية. ولما كان النشاط البنائي " يهدف في جوهره إلى إعادة تكوين الشيء بطريقة تبرز قوانين قيامه بوظائفه " (4) فهو يستلهم معطيات النظرية اللسانية العامة " في عكوفها على بلورة نظرية لغوية متكاملة تحدد معالم الكلام الإنساني " (5) ضمن منهج وصفي ينتهي إلى وضع نسق معرفي يشكل رؤية تفسيرية لقوانين اطراد الظواهر اللغوية و معايير انتظام العناصر الجزئية في النظام اللغوي الموصوف .

(1) : صلاح فضل .مناهج النقد المعاصر .ص:19

(2) : نقلاً عن المرجع نفسه ص:128

(3) : صلاح فضل .نظرية البنائية في النقد الأدبي. . ص:188

(4) : المرجع نفسه ص:205

(5) : عبد السلام مسدي (مدخل إلى النقد الحديث) . مجلة أشغال ندوة اللسانيات و اللغة العربية .ص:206

وعلى مستوى البنية في المبادئ العامة للسانيات ، نُعتمدُ مفهومات عنها كثيرة أضافت عبئاً إلى النقد البنائي من الوجهة الدلالية أثناء محاولة الكشف عن أدبية النص ، فمما هو مستقر معرفياً في عرف اللسانيات العامة اعتبار البنية شيئاً غير قابل " للإدراك حسياً حتى لو حددنا خصائصها التي تتمثل في عناصرها التركيبية وإنما هي تصور تجريدي يعتمد على عمليات التوصيل التي تتعلق بالواقع المباشر ، و تعد البنية ذاتها شيئاً وسيطاً يقوم فيما وراء الواقع " (1) و استناداً إلى هذه المفاهيم نجد كثيراً من الصور التطبيقية للنشاط البنيوي تتجافى هذا الطرح وتتطلق من التركيبية اللغوية للنص لتحديد مفهوم البنية لديها باعتبارها شيئاً حسياً قابلاً للإدراك في الظاهر، و قد جلبت هذه الرؤية القاصرة كثيراً من الاتهامات للنقد البنيوي ، على خلفية رفضه للإعتبارات الثقافية والاجتماعية التي تتداخل مع البنية التركيبية للنص بشكل يصعب الفصل بينهما .

الحقيقة أن التطبيقات البنيوية التي تمت بهذا الشكل قد أنهكت النقد الأدبي بمناهج رياضية لا تحتملها روح النقد ، و أفرغت النص الأدبي من محتواه الدلالي ولم تقف بنا إلا على حواشيه ، ثم هي من جهة أخرى لم تصدق في دعواها باستغلال المبادئ اللسانية بل الملاحظ بالعودة إلى مفهوم البنية نفسه أنها قد حرقت المفهوم الأصلي في بنية اللغة الذي لا يرفض مشاركة عناصر أخرى في تجسيد بنية الدلالة بوصفها شيئاً تجريدياً يقوم بدور الوساطة فيما وراء الواقع على حد اختيار " مارتيني " ، وترتب على ذلك جملة من النتائج العكسية في صور التطبيقات المغرقة في النزعة الشكلية أدت إلى حدوث نوع من الجفاء في المنظومة النقدية المعاصرة . فقد غدا النقد مجرد آلة تشريحية تحك جسم الوسيط (البنية اللغوية) دون أن تنفذ إلى الوسط (البنية المجردة المرموز لها في الواقع) ، لرصد الظواهر الخفية المتحكمة في توليد الشحنة التعبيرية ، و مدى الانسجام والتلاحم بين معطيات البنية اللغوية وأسبابها الخفية الملتبسة بسياقات ثقافية لا يمكن إنكارها .

" إننا منذ ما يربو عن نصف قرن نشاهد امتزاج المناهج و تداخل العلوم " (2) ، وفي معتقدي أن هذا هو المخرج السليم مما يهدد نشاطنا النقدي في صورهِ البنيوية . إن ما تستدركه مقولات البنيوية التركيبية على النزعة الشكلانية في التعاطي المثمر مع النصوص الإبداعية أمر يستحق

(1) : أندري مارتيني ، نقلا عن صلاح فضل نظرية البنائية.ص 294.

(2) : مقال لحمادي صمود (المناهج اللغوية في دراسة الظاهرة الأدبية). أشغال ندوة اللسانيات و اللغة العربية .ص:239.

التنويه ، ولم يكن ذلك في تناولها إلا باعتماد مبدأ التداخل والتخارج فيما بين المناهج ، و لعل من أكبر حسنات هذا المنهج أنه " لا يرفض الإمكانيات التي يقدمها علم اللغة للوصول إلى دراسة البنية الدلالية " (1) بوصفها جزءا من اللعبة الدلالية الكبرى ، وفي الوقت الذي " يحلل فيه البنية الداخلية للنص يحاول ربطه بحركة التاريخ الاجتماعي الذي ظهر فيه " (2) ، بنية النص الكبرى .

عندما يرى غولدمان أن " الصبغة الجماعية في العمل الإبداعي هي أمر بديهي لا يناقش ، فهو يعتبر أن هناك علاقة عضوية بين العمل الفني المتميز والمجتمع الذي شهد نشأة هذا العمل " (3). وإذا كنت سأنسجم مع هذا الطرح بشكل أو بآخر فهذا لا يعني أنني أقلل من شأن الدراسة اللغوية في النقد الأدبي بقدر ما أتوه بنجاحاتها ومهارتها ، و لكنني أريد أن أسجل اعتراضا على نوع من تلك الدراسات لا يميز بين أنواع النصوص التي يدرسها ، حيث نجدها تتناول جميع النصوص بحس واحد فتضيع أدبية النص ضمن الطرح الساذج الذي تفرضه هذه الدراسات . وحتى نصل بها إلى المستوى المطلوب لها في التعامل مع النصوص الأدبية يتعين عليها أن تتلطف بعض الشيء من تحكم النزعة الوصفية الجافة ، وأن تكون أكثر أدبية " حتى تفيد دراسة الأدب حين تهدف إلى تقصي الآثار الجمالية للغة ، - و بالاختصار - تدخل في دائرة الأسلوبيات على الأقل بأحد معاني هذا المصطلح " (4). و انسجاما مع هذه الرؤية لا أرى في العمل النقدي اللغوي من شيء يقدمه مفيد إلا عندما يدخل بالنتائج التي تحصل عليها في جملة من التأويلات والتفسيرات التي تعود بالنص إلى الأصل الجماعي له في إطار الرؤية الفردية الخاصة بالفنان الذي " لا يتأثر بالمجتمع فقط ، وإنما يؤثر فيه " (5) من وجهة مشروعة للفن بكونه " ليس مجرد تعبير عن الحياة و إنما هو تكوين لها أيضا " (6) على أنني في هذه الدراسة أحاول بما أتيتح لي إبعاد شبح النزعة الشكلية المحضنة من التحليل ، وإنما أعتمد عليها ضمن جملة من بيانات أساسية تدعم فكرة تأويل المعاني الوظيفية للأبنية المدروسة إلى أبعاد تجلي جملة من الحقائق المتصلة بالنص، كالمظهر النفسي والاجتماعي فيه، والخصائص الأسلوبية الداعمة لفكرة وحدته و انسجامه واتصاله بصاحبه

(1) جمال شحيد. البنيوية التركيبية. ص:47

(2) المرجع نفسه . ص:9

(3) المرجع نفسه . ص:78

(4) : نظرية الأدب . رينيه ويليك . ص:182

(5) : المرجع نفسه . ص:105:

(6) : المرجع نفسه . ص:105

من وجوه عدة ، وفي السياق نفسه لا أحب أن يستأثر منهج بنيوي بعينه على الجهد التحليلي الذي يقدم قراءة نموذجية ، أعتبرها مقاربة متواضعة تتدافع مع كل المقاربات الأخرى في سياق " لعبة الدلالة " التي أصبحت صبغة النقد الحديث ، مؤسسا لهذه الرؤية بمقولة " الأديب ابن بيئته " ، وهي مقولة تكشف عن حقيقة اجتماعية نفسية وتاريخية عامة ، فالإنسان مدين لبيئته اجتماعيا في المستوى العادي له ، ومدين لبيئته فنيا حال كونه شخصا من مستوى آخر .. مبدعا . وأعتقد أن النص الأدبي يتمتع بحياة مستقلة في كل مرة عن الإضافات النقدية تتجدد بتجدد القراءة واختلاف آلياتها ومواقفها . ومهما تجددت هذه الحياة واستقلت إلا أنها تبقى متصلة بصاحبها وعبر خيوط نورانية مشتبهة وغير متشابهة (*) . والأديب إنما يكتب بعضها بدافع من بعض ، فهو يقول نفسه ويعبر عنها في كل الأحوال داخل المحيط الاجتماعي والثقافي حال التباس بعضهما ببعض . ولما كان الأمر كذلك فإن مهمة العمل النقدي أن ينصبّ على تشريح هذه الأنسجة ، وعزل خيوطها عن بعض وملاحظة عملها ثم إعادة بنائها قصد التعرض لظل هذا النسيج ، حتى يقيس دقتها وخفتها ودفئها ، انسيابها وانقباضها وتشنجاتها ، بحثا عن الظلال العاطفية والدلالات النفسية والاجتماعية، التي تنصبغ بها الذات النصية .

ولعلي إلى هذا الحد أريد أن أقرر ثلاثة مبادئ أساسية من المحمول الثقافي السابق لكل عملية نقدية خاصة ، ترتكز عليها الدراسة هي :

- إن الشاعر ليس فيلسوفا .. وله أن يتفلسف ، فهو لا يسأل عن فضول علمي وإنما عن حيرة ، ولا يسأل ليعود على ما بناه من نظريات في معقوله مسبقا ، وإنما يسأل ليعيد رسم الصراع النفسي بمعالمه الثابتة نسبيا داخل أطر وعوالم لا تعرف الثبات .

- إن الشاعر ليس ناقدا اجتماعيا ، وله أن يتبرم بالحال الاجتماعية ويتمرد على قانونها ويشيع فيه قيما بديلة .

- إن النص الأدبي تركيب نموذجي للعلاقات الفردية والاجتماعية (الثقافية) .
وقد يكون من المفيد لدراسة نقدية تتبنى هذا التوجه أن تنظر في الملابس الاجتماعية للنص، من حيث تأثير المكان والزمان على لحظة القول الشعري ، وليس من قبيل الفشل النقدي الذي

(*) : قصدت بذلك إلى الأنظمة اللغوية (شكل النص) صوتي ، صرفي ونحوي.. ، وهي أنظمة مشتبهة حيث يكون الفصل

بينها نظريا ، أما المتشابه منها فالأنظمة الخفية في النص وهي ثقافة النص وقيمه الاجتماعية والنفسية ..

يُجَهَّزُ أحكاماً ثم يدلل عليها من البنية اللغوية إذا نَبَّهتُ هنا على ضرورة الحديث عن بعض التأثير الذي للبيئة الجاهلية على الأدب ، وإنما أقصد بذلك أن اقترب من النص أكثر ، ثم لا أكرث لمجرد التعارض الذي قد ينشأ بين معطيات البنية اللغوية المحللة والتنبيهات التاريخية على تأثير البيئة الاجتماعية والجغرافية على النص .

2. انعكاسات البيئة الجاهلية على الأدب :

أزعم أنني في غنى تام عن إعادة رسم المعالم الجغرافية والجوانب التاريخية للبيئة الجاهلية ، فمثل ذلك يُحال عليه في كتب التاريخ (أيام العرب) ، والجغرافيا (معجم البلدان) . وعليه سأتناول الجانب التأثيري لهذه المعطيات على نفسية الأفراد ومن ثم على الأدب مباشرة .
في البداية أريد أن أختصر معالم هذه البيئة – بما يحقق الهدف من الدراسة – في شيئين أساسيين هما :

- اتساع نطاق الطبيعة القاسية .

- اللامن الاجتماعي .

إن اتساع نطاق الطبيعة القاسية يمثل جوهر استدلاليا على كثير من الحقائق الاجتماعية والنفسية التي تلون بها الإنسان العربي آنذاك ، فالطبيعة الصحراوية بجفافها وحرارتها اللافتة ، وبرودتها الشديدة وتضاريسها الوعرة ، وانقطاع المصدر الغذائي فيها عن الإنسان إلا من لحوم الحيوان التي كان يُربّيها أو يصيدها بيده جعلت منه كائنا مترحلا بحثا عن الماء والكأ ، لا يكاد يقيم في مكان حتى يَعمّن له مكان آخر ، فيبقى دفاء المكان الأول يحفر في ذاكرته بينما يستعد لرحلة أخرى إذعانا منه للقانون الطبيعي ، وهنا حالة من القهر الطبيعي المباشر ، " حيث كان لهذا التضاد الجغرافي أثره في نفوس شبه الجزيرة العربية ، فقد أوجد في شخصياتهم لونا من التضاد النفسي اصطبغت عناصره بما في البيئة الجغرافية من لوني المبالغة وعدم الاستقرار " (1) ، وتكتمل صورة ذلك الصراع النفسي عند الشاعر العربي الجاهلي الذي لم يرض أن يموت مهانا في ذلك الواقع المتسلط ، دون أن يُعلن تفوقه بكل ما أوتي من وسائل التحدي والانطلاق .

إن الطبيعة القاسية المترامية الأطراف بلا حدود قد مارست قهرا طبيعيا سرمديا على الشاعر الجاهلي ، كما عززت فيه روح التحدي ، حيث لا مفر من مواجهة الخطر الطبيعي المحدق في كل ركن ومن كل فج . " وقد أورثت البدوي مواجهة الطبيعة في كل أن حضور البديهة والذكاء اللماح ، كما أورثته الإحساس الرقيق والشعور المرهف ، ولهذا كان أدبه أدب بديهة ينزع نزعة

(1) : حنا الفاخوري . الجامع في تاريخ الأدب العربي . ص 94 .

الإيجاز ، بعيدا عن التركيب العلمي والمنطقي " (1). ولعل ما يشيع عن الإنسان العربي من صفات الشجاعة والصبر والوفاء والكرم وغيرها ، كلها عناصر نفسية أحدثتها الطبيعة الصحراوية في نفوس هؤلاء . وهذه الصفات في الحقيقة هي سر نجاح العربي في تحديه للطبيعة . يتقرر لنا في الأخير أن الإنسان العربي عامة والشاعر الجاهلي خاصة قد مارس تحديه للطبيعة في مظهرين :

- تحدي بالرحلة

- تحدي بالوصف

أما الرحلة ، وما تكسب صاحبها بالتجارب والخبرات فإنها تجعله أكثر دراية وسيطرة على الطبيعة ، وأما الوصف ، فمقدرة فنية لم يؤتها إلا الشاعر ، يصف بها تجاربه وملابسات رحلته ليحكم على الأشياء بمواصفاتها ، فيزيل خطرهما من نفسه ويقتله في الوصف . فوصف الطبيعة لم يكن وصفا سطحيا مطلوباً لذاته وإنما هو تحدّ لها في مقابل اكتشاف علمي ، ولهذا يشيع التشبيه شيوعاً لا مثيل له في القصيدة الجاهلية ، وهذا ما لا يستقيم مع قول الأستاذ رجب بلشير حين قال " ومن البديهي أن تكون الغلبة في هذه الموضوعات الوصفية للتقاليد الموروثة عن عالم البداوة " (2) وكأن الوصف عنده تقليد موروث ، مطلوب لذاته ، اللهم لا في اعتقادي ، لأن واقع القصيدة الجاهلية لا يقرره إلا شكلياً .

فهل لا حظت معي إلى موضوعات القصيدة الجاهلية ، حيث نجد الشاعر وصفاً في كل الأحوال ، في علاقته بمحبوبته أو علاقته بناقته وفرسه وسيفه ... والموصوفات السالفة الذكر تشكل حضوراً حميمياً لدى الشاعر الجاهلي ، إذ بواسطتها يستطيع قهر الخطر الطبيعي . فتراه يصف المحبوبة بأوصاف تجعله أكثر استعداداً لمواجهة الخطر . كما يصف الناقة والفرس بأوصاف قمة في تحدي الطبيعة وكذلك السيف والرمح والقوس وغيرها . وعليه فإن الشعر الجاهلي قاعدته الوصف وقاعدة ذلك الوصف هي التحدي . وربما يؤيد هذا الرأي من قبل كلام آخر للأستاذ نفسه حيث يقول : " ومهما يكن المكان الذي تبوأه الوصف الحيواني فإن أساليب الشاعر متماثلة في

(1) : حنا الفاخوري . الجامع في تاريخ الأدب العربي ص 96 .

(2) : رجب بلشير . تاريخ الأدب العربي . ج 1 ص 487

استحضار صورة الشيء " (1) وهي الوصف عن طريق التشبيه البلاغي " لأن التشبيه مقارنة تفصل بين الأشياء وتراعي الحدود العلمية بين المعطيات " (2) .

ولا يفهم من هذا الكلام الأخير أبداً أن التشبيه البلاغي في القصيدة الجاهلية خال من الظلال العاطفية لا روح فيه . بل هو جوهر الصراع النفسي ومستودع القيم النفسية والفنية . على أن الشاعر ينسجم مع التشبيه روحاً ، لغة وأسلوباً " ولا ينظر إلى عالم الأشياء والحيوان نظراً محايداً، كأن العالم مستقل في الوجود يتكون من معطيات باردة ، أو موضوعات بريئة من المدركات " (3) ، ولكن الشاعر في هذا الشعر " كلي الوجود يهيمن على هذا الكون ويستغرق فيه ، يراه في نفسه ويرى نفسه فيه ، كأن العلاقة بينهما علاقة بين مرآة متوازية متقابلة " (4) .

ونعود هنا للحديث عن اللأمن والاستقرار الاجتماعي الذي كان يطبع البيئة الجاهلية ، إذ هو حالة اجتماعية كان لها الأثر العميق في نفوس أفراد شبه الجزيرة العربية ، ناتجة عن القهر الطبيعي الذي جعل المنطقة تتناثر هنا وهناك ، قبائل يُبَيِّت كل منها لغزو الآخر ، ويظل البحث عن المال والذخيرة هو المحرك الرئيسي لهذه الحروب القبلية ، وكان الرجل يحتل مكانة نوعية في نظام القبيلة لهذا الغرض ، حيث يُطلب للدفاع عن أهلها ودفع الضيم عنهم ، بينما ظلت المرأة ترزح تحت وطأة ذلك القانون الاجتماعي الجائر لما تعلق حالها بحوادث السبي وما ينجر عنه من إهانات وعار يحسب على القبيلة ، وهكذا كانت الشجاعة تحتل أولوية الحضور في الصفات النفسية للإنسان العربي . أما الشاعر فقد كانت له مكانة نوعية في القبيلة ، إذا قرأناها داخل المجموع القبلي فإنها توازي مكانة الملك أو سيد القبيلة ، فهو ناطقها الرسمي ، وهاديها إلى مجدها، أو قل هو المرجع الذي يعول عليه في شحذ الهمم ، ونفخ الحماسة في أبناء العشيرة ، فقد روى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء " أن العرب في الجاهلية أنزلت الشعراء بينها منزلة

(1) : رجب بلشير . تاريخ الأدب العربي . ج.1. ص 498.

(2) : جابر عصفور . عالم الشاعر الجاهلي . مجلة العربي . 429. ع.1994. ص72

(3) : المرجع نفسه . ص69 .

(4) : المرجع نفسه . ص96.

الأنبياء في الأمم ، لأن أهل الجاهلية لم يكن لديهم كتاب يرجعون إليه ولا حكم يأخذون به " (1) .
وعنه أيضا فيما روى الجاحظ أن " الشاعر في الجاهلية كان يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى
الشعر الذي يقيد عليهم مفاخرهم ، ويُفخّم عليهم مآثرهم ، ويُهوّل على عدوّهم ومن غزاهم ، ويُهيّب
من فرسانهم ، ويُخوّف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم " (2) .
على أن هناك من الشعراء من هو موغل في انتمائه للقبيلة منصرف فيه لا تعدو عيناه إلى شيء من
الخروج عن نظامها أو أعرافها كقول الشاعر :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

وهناك من أحس بفضاعة القمع الاجتماعي الذي تمارسه القبيلة إلى جانب القمع الطبيعي للبيئة
الصحراوية ، فأخذ إلى الثورة والتمرد على القبيلة ، ويحضى شعر الصعلكة بمكانة أدبية مرموقة
في الشعر الجاهلي ، شعر التمرد الذي منه :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل .

وبين هذا وذاك نجد فريقا لم يتهيا له الخروج عن القبيلة ولا الإذعان المطلق لها ، فراح يتلمس لها
الإصلاح والهداية بحكمة بارعة كزهير بن أبي سلمى وهو نموذج الشاعر الحكيم :

إن هذه الملابس الطبيعية والاجتماعية قد استغلها الشاعر الجاهلي استغلالا فنيا ، فراح يسكب
عليها من حياته بقدر ما تسكب هي من حياتها عليه ، فباستثناء شعراء المدح والتكسب نجد أن "أهم
سمة بارزة في الشاعر الجاهلي من حيث هو نموذج أصلي ، أنه صانع أسطوره الخاصة ، التي
يستمد سرها من حضوره المستقل ويشيع تأثيرها من خصائصه الذاتية ، صوته صدى وجوده
ومعتقده بعض صنعه ، وحكمته خلق ذاتي ، وإبداعه تشكيل حر " (3) .

(1) : جابر عصفور .النموذجان النقيضان مجلة العربي .ع443 . سبتمبر 1990.ص 76.

(2) : الجاحظ . البيان والتبيين .ج1ص151.

(3) : جابر عصفور .النموذجان النقيضان مجلة العربي .ع443 . سبتمبر 1990.ص 76 .

3. " لخولة أطلال " في ميزان الشرح والتفسير :

أجمع الدارسون على أن المعلقات السبع - وإن اختلفوا في عددها - هي أجود الشعر الجاهلي وأكمل صورة له من الناحية اللغوية والفنية وأقرّ غير واحد منهم على أن معلقة طرفة بن العبد " لخولة أطلال " هي الأجود والأحسن إلى ما سواها من المعلقات ، قال ابن قتيبة " وهو أجودهم طويلة " (1) ، وقد حضيت باهتمام كبير من قبل الشراح والنقاد الدارسين ، فمن مُشيد بحكمتها وبراعة أدبيتها ، إلى منكر شاك في صحة نسبتها إلى صاحبها أو شاك في بعض منها ، خاصة فيما يتعلق بوصف الناقة . وحسبي هنا أن أقف وقفة سريعة مع شرح الزوزني ، كعلم على الشراح القدامى ، ووقفة مع الدكتور محمد صديق بشير كاتجاه جديد في قراءة المعلقة من خلال كتابه " المعلقات السبع دراسة للصور والأغراض والأساليب " ، حيث زعم أنه يقدم قراءة جديدة هناك . أما فيما يتعلق بصحة نسبتها إلى صاحبها فسأعرض له في نهاية الفصل الثاني حين أعلق على النتائج العامة للعمل التطبيقي .

1.3. الشروحات القديمة (الزوزني) :

تمثل هذه الشروحات بواكير الدراسات اللغوية الأدبية في الشعر الجاهلي خاصة ، ولم أجراً على تسميتها دراسات لعدم تحملها المعنى العلمي الثقيل للكلمة في عصرنا هذا . ومهما يكن من شأن فإن هذه الشروحات تمثل المداخل الأساسية لهذا الشعر . ولولاها ما استطاع أحد من المتأخرين اقتحام أسوار هذا الشعر المتين .

إن المنهج الذي اتبعه الزوزني هو الشرح والتفسير ، شرح المفردة الغامضة ثم معناها إلى ما سواها ، وفي كثير من الأحيان يضطر إلى تفسير مضمون البيت وإخراجه مخرج النثر كلما تعلق الأمر بمجاز أو تركيب عصي في مفاصل الجملة الشعرية ، وقد سار الزوزني على هذا المنهج في سائر المعلقات ، فكانت دراسته أشبه إلى دراسة معجمية أصيلة لا مناص من الرجوع إليها في كل دراسة أدبية أو لغوية ، وبالاحتكام إلى المعايير النقدية اللغوية الحديثة تعتبر تلك الشروح نموذجاً راقياً عن المناهج الدلالية " التي تعتبر الدلالة كامنة في رمز الألفاظ للأشياء " (2) .

(1) : ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ص95.

(2) : مقال لعبد السلام المسدي (مدخل إلى النقد الحديث) . مجلة أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية . ص206.

2.3. الدراسات الحديثة (محمد صديق بشير) :

واضح من عنوان الكتاب : " المعلقة السبع دراسة للصور والأغراض والأساليب " أن صاحبه أراد أن يقدم قراءة جديدة ، تضطلع بمهمة الكشف عن المضامين الفكرية والعاطفية التي أفرزتها القوى التعبيرية للنص الجاهلي في سياق تلاحم الصورة والإيقاع والأدوات الفنية الأخرى التي يزخر بها النص ، إيماناً من المؤلف بأن النص الجاهلي لم يعط حقه من العناية والبحث .

وفي القسم الأخير من الكتاب " معلقة طرفة قراءة جديدة " يزعم الكاتب أنه قدم قراءة جديدة ، الغرض منها تأويل مدلولات ومعاني النص وفق رؤية جديدة تنطلق من مقومات النص ذاتها ، وقد بدت معالم المنهج الاجتماعي واضحة في مضمون تلك القراءة ، كما لم نستطع أن نلمس مظاهر الجودة في التعامل مع الصور الشعرية واللغة بشكل عام ، وكل ما في الأمر أن الواجهة النقدية في ذلك الكتاب قد أعادت تكريس معالم المنهجين الفني والاجتماعي ، أما ملخص ما جاء في تلك القراءة فيمكن إيراده على الشكل التالي :

- إن ظاهرة التصوير -كأسلوب فني - يعتبر قاعدة للشعر الجاهلي ، أدركه العرب قديماً ، لإخراج المعاني والأحاسيس ، مادته اللغة الجاهلية .

- إن الرافد الأساسي للشاعر الجاهلي هو البيئة الصحراوية .

- اللغة المستعملة هي لغة سهلة لا صعبة .

- معلقة طرفة بن العبد أجود المعلقة باعتبار عنصر الجودة والابتكار في طرق التعبير عن الموضوعات .

- وجود فراغات فنية في قصيدة " طرفة بن العبد " راجع إلى مبدأ التجزئة في الأفكار وعدم التفريق بين الجوهر والعرض والداخل والخارج والعلوي والسفلي .

- وجود وحدة فكرية وتقطع ملحوظ في الوحدة العضوية .

ومن المؤكد أن الكاتب قد استفزته - على مستوى التحليل - بعض الظواهر النصية على مستوى البنية اللغوية للخطاب الشعري ، لكنه لم يحاول من جهته أن يجد تفسيراً مرضياً لها ، وإنما اكتفى بالإشارة إليها على أنها مظاهر لاختلال توازن النص . فقد ذكر في عبارة وصفية له خصّ بها النمط التركيبي للمعلقة قائلاً : " إن ثقلاً في أبيات المعلقة ناتج عن تتابع الإضافة " (1)

(1) : محمد صديق بشير . المعلقة السبع دراسة للصور والأغراض والأساليب .ص146.

وأعتقد أن الإضافة التي يتحدث عنها الكاتب إنما تمثل واحدة من أبرز الظواهر التركيبية التي يمكن أن تحمل سيلا من دلالات نفسية واجتماعية ، وهو ما سأحاول تجليلته في الفصل الخاص بالمعاني الوظيفية للبنى التركيبية ، على اعتقاد جازم بأن الشاعر الجاهلي كان أبعد من أن يتصور وقوعه في مثل هذا النوع من التراكيب المرذولة ، إلا إذا كانت الأبيات المخصصة بالذكر – وهي الأبيات التي في وصف الناقة – من قبيل اصطناع الرواة أو " نموذج تمريني مدرسي " (1) على حد قول المستشرق الأستاذ : رجيس بلاشير ، لولا أن الكاتب قد قوي اعتقاده في صحة نسبتها (المعلقة) إلى صاحبها ، لانسجام أساليبها واتساق بناها اللغوية .

(1) : رجيس بلاشير .تاريخ الأدب العربي .ج.1.ص496.

4. تطور الدراسات الوظيفية وتطبيقاتها :

يكتسي مصطلح " الوظيفة " في هذه العبارة ، المعنون بها لهذا الجزء الأخير من الفصل التمهيدي أهمية بالغة ، تتجلى أكثر في تحديد شكل المفهوم الذي تتبعه الدراسة كأساس تبني عليه جميع المقولات التشريحية والتأويلية ، التي تنهض في هذه المقاربة النقدية ذات الطرح اللغوي . ولا بد في البداية من وضع فرز أولي لملايسات هذا المصطلح في الوضعين اللغوي والاصطلاحي، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور ، " وَظَفَ الشيء على نفسه ووظفه توظيفاً ألزمها إياه .. وجاء يظفه أي يتبعه .. ويقال وظف فلان فلانا إذا تبعه .. " (1) .

فهذه شواهد من اللسان على معان معجمية لهذه الكلمة يبدو أنها اتجهت نحو الاستقرار نسبياً في جميع الاستعمالات الخاصة بالكلمة ، بعد تطورها عن أصل دلالتها الذي كان يرمز ليدي الفرس ، أو لرجليها أو لنوع من السير في عدو الإبل ، أو الخيل ، وفي المدونة المزمع دراستها شاهد عنه في وصف الناقة يقول طرفة :

تباري عتاقا ناجيات وأتبعت
وظيفا وظيفا فوق مور مُعبّد " (2).

وفي مختار الصحاح للرازي مثله في اعتبار الإلحاق والإتباع معنى من معاني كلمة الوظيفة " (3)، والغريب في سياق الحديث عن معنى الوظيفة في المعاجم العربية اعتبار ابن دريد في الجمهرة مادة " وظف " أصلاً مهملًا " (4) .

ويتأسس على المعنيين الذين اختارهما ابن منظور لكلمة " الوظيفة " اعتبارها وصفا ظاهرا لكل شيء يؤدي دورا محددا في مجال من المجالات ، وكون ذلك الوصف تابعا للشيء الموصوف بحيث كلما توصلنا إلى تحديد خصائص الشيء عرفنا وظيفته ، ودوره المنوط به في سلسلة النشاط المدروس ، وهكذا تحدد مفهوم الوظيفة في جميع الأنشطة والمظاهر العملية للموجودات . أما معناها الاصطلاحي فقد جاء في التعريف اللساني لكلمة " fonction " ، في القاموس

(1) : ابن منظور . لسان العرب . ص 329

(2) الزوزني شرح المعقات السبع . ص 38.

(3) الرازي مختار الصحاح . ص 342

(4) ابن دريد . الجمهرة . ص 305

الفرنسي " le petit Larousse " ، " أنها الدور الذي تقوم به كلمة أو مجموعة كلمات في تركيب جملة " (1) ، ويتضح هذا المعنى أكثر في معجم اللسانيات الحديثة ، حيث ورد هناك أن الوظيفة في العرف اللساني " مصطلح يطلق على الدور الذي يقوم به أي عنصر من عناصر الكلام ، وعلاقته بالعناصر الأخرى " (2) ، ويخرج على هذا المفهوم أن لكل عنصر - من شأنه أن يدخل في تركيب اللغة - وظيفة محددة تتمثل ابتداء في المعنى القائم بإزاء المبنى الرامز له بالاتفاق والمواضعة ، ومن ثم يُنظر للغة على أنها بنية شكلية تتألف من مجموعة من الأصوات ذات وظيفة تواصلية يقوم فيها كل عنصر بتوصيل جزء من تلك التجربة التواصلية ، وكل معنى يؤديه عنصر من عناصر اللغة ، يعد وظيفة بالأساس ، وما المعاني المعجمية والصرفية والنحوية وغيرها إلا معاني وظيفية بهذا التقدير الأولي لمفهوم الوظيفة في الدرس اللغوي . وإذا كان يتوجب على كل دراسة تأصيلية لهذا المفهوم في الدرس اللساني أن تعود إلى هذا الاعتبار ، فإنه من الضروري الاعتراف بأن الدراسات اللغوية منذ نشأتها ، لم تكن إلا وظيفية على الأقل بأحد معاني هذا المصطلح في الدرس اللساني الحديث .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا المصطلح قد أخذ وضعاً متميزاً في اللسانيات الحديثة ، حيث لا تكاد تخلو نظرية من تحديد مفهوم له ضمن أنساقها الفكرية ، وبشكل يتفاوت من نظرية إلى أخرى ، ومبرر هذا التفاوت هو اختلاف منطلقاتها النظرية في وصف اللغة ، والتركيز على جانب دون آخر في التحليل ، حتى نشوء النظرية الوظيفية في اللسانيات الحديثة التي تركز بشكل كبير على " إبراز الوظيفة الإبلغية للغة " (3) ، وما نتج عنها من تشقيقات في وظائف اللغة ، والتي سمحت لها أن تتجاوز الأنحاء الجزئية التي طبقت على الجملة إلى وضع أنحاء كلية لدراسة الخطاب .

وليس من شأن الدراسة الخوض في مبادئ النظريات ذات التوجه الوظيفي(*) بقدر ما هي وفيّة لنوع من التحليل الوظيفي يشمل الوحدات الصرفية والتركيبية بالتركيز على معانيها الوظيفية

(1) Le petit Larousse p448 ; rôle syntaxique d 'un mot ou d 'un groupe de mots dans une phrase

(2) : جماعة من الذكارة معجم اللسانيات الحديثة .ص49.

(3) : أحمد حساني . السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية .ص13 .

(*) : كمنظريّة التقسيم الوظيفي لماتيزيوس ، ونظريّة مارتيني الوظيفية ، والنظريّة الوظيفية لسيمون ديك ، والتي تبنّاها من اللسانيين المحدثين العرب أحمد المتوكل .

المستخلصة من الشكل التعبيري للغة العربية ضمن مقولة المعنى والمبنى التي قامت عليها دراسة جادة ضمن الجهود اللغوية العربية الحديثة تحت عنوان " اللغة العربية معناها ومبناها " للأستاذ تمام حسان ، وهي مقاربة متميزة في قراءتها للتراث العربي ، حاولت أن تجمع بين معطياته ونتائج اللسانيات الحديثة .

وإذ تحاول الدراسة استلهاً معطيات هذه المقاربة فهي لا تخرج عن الإطار البنيوي إلا بالقدر الذي يسمح لها بتأويل المعاني الوظيفية للأبنية المدروسة ضمن الوظائف التأثيرية للغة ، آخذة بعين الاعتبار دور السياق في تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد ، وهي في كل ذلك تستنير قدر المستطاع بما جاء في المصنفات القديمة من إشارات تدفع في هذا الاتجاه للدراسة الوظيفية ، ابتداء من سيبويه ، إلى ابن جني ، والزمخشري في الكشف خاصة ، حتى عبد القاهر الجرجاني في الأسرار والدلائل (*) ، وتتميز الرؤية الوظيفية المتوخاة في هذه الدراسة باعتمادها على مبدأ التفريق بين الوظيفة ومعناها بعد أن تقسم بنية الوظائف إلى محورين أساسيين هما : محور الوظائف الدلالية وتنهض به المباني الصرفية أو أقسام الكلم ومحور الوظائف التركيبية وتنهض به مباني التعليق والعلاقات التركيبية . ومثاله في الأول أن التسمية وظيفية دلالية للاسم ، أي مميز دلالي له في أقسام الكلم ، ولكن معانيها تختلف باختلاف شكل الاسم ووضعه في السياق ، من حيث التعريف والتكرير ، والجمود والاشتقاق وغيرها من الاعتبارات المبنوية ، ومثاله في الثاني أن وظيفة مبنى الحرف " و " ، من الناحية التركيبية هي التعليق (الربط) ولكن معانيها تتصرف

(*) : في الكتاب لسبويه جملة من التنبهات على المعاني الوظيفية للصيغ الصرفية المختلفة كقوله :

هذا باب ما جاء من الأدواء على مثال وجع يوجع وهو وجع

هذا باب في الخصال التي تكون في الأشياء ومثاله : قبح يقبح قباحة

هذا باب ما تجبى الفعلة تريد بها ضرباً من الفعل ... (الكتاب ج4. ص 18 . 21 . 44) .

أما ابن جني فيبتدى هذا التوجه واضحا عنده في الخصائص في باب الإمساس والتصاقب ، وتقسيم الدلالة إلى ثلاثة أنواع ، يقول : لأن الفعل يدل على الحدث بالفعل (لفظية) ، وعلى الزمان دلالة صناعية (صيغية) ، وعلى الفاعل بالمعنوية (الخصائص ج3.ص69) ، ما يسميه الدكتور عبد الحميد يوسف هندواي باللزوم (الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم .ص19) ، وهي (الأخيرة) دلالة عقلية .

أما في الكشف للزمخشري فقد كان البحث عن الأسس البلاغية لتوظيف صيغة دون أخرى نموذجاً تطبيقياً فريداً في بابهِ ، يقول معلقاً على قوله تعالى : " أولئك على هدى من ربهم .. " الآية (5) من سورة البقرة : ونكر هدى ليفيد ضرباً لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره . (الكشف ج1.ص27) .

أما حرص الجرجاني على جعل الألفاظ خدماً للمعاني وترتيبها على حسب ترتيبها في النفس من خلال نظرية النظم ، فهو قول يدفع باتجاه مبدأ الوظيفة تحدد البنية .

إلى العطف والاستئناف والمعاقبة .. وغيرها ، وكلها معان سياقية ، والدراسة إنما تحتفي أكثر بهذه المعاني الوظيفية بوصفها وظائف معنوية لوظائف البنية من أجل حصرها في نسب عددية تسهل عملية البحث عن الأسس الإبداعية لتوظيف هذه المعاني كسمات أسلوبية مهيمنة على بنية النص ، عن طريق تأويلها ضمن الوظائف التأثيرية للغة المدروسة .

5. خاتمة الفصل :

فيما تقدّم جملة من المبادئ النظرية التي جعلت تمهيدا للدراسة التطبيقية المرتقبة ، فيما تبقى من الفصول التي تصبّ مباشرة في الدراسة اللغوية ، منها ما يتعلق بمنهج الدراسة ومنها ما يتعلق بواقع النص المدروس ، نوجزها فيما يلي :

- أن المنهج البنيوي المتبع في الدراسة لا يفرض رؤية أحادية في التحليل ، وإنما يعتمد على مبدأ التداخل والتخارج بين المناهج بما يحقق شرطي عدم التناقض ونجاعة التحليل .

-تقوم الدراسة على أساس الجمع بين معطيات التراث والدرس اللغوي الحديث منطلقاً من روح الطرح العلمي لكتاب " اللغة العربية معناها ومبناها " ، وتفرق بين الوظائف الدلالية والتركيبية من جهة وبين معاني هذه الوظائف من جهة أخرى ، فهي لا تعنى بالأولى إلا حين تبلغها الثانية .

- تنأى الدراسة عن النزعة التشرّحية ، وتجمع بين البعدين اللغوي والأدبي في تأويل المعاني الوظيفية.

- تعتبر الدراسة مقارنة نقدية ألسنية ، تقدم قراءة جديدة للنص ، لا تتلاعى مع باقي المقاربات اللغوية وغير اللغوية الأخرى .

وفيما يتعلق بواقع النص خلصت الدراسة في جانبها النظري إلى مايلي :

- أن النص الأدبي تركيب نموذجي للعلاقات الإنسانية الاجتماعية .

- أن الوصف في الشعر الجاهلي لا يعكس تقليدا موروثا لذاته ، وإنما هو صراع وجودي قاعدته التحدي .

- أن مبدأ التحدي الذي يعتبر قاعدة الشعر الجاهلي ، يتجلى في مظهرين :

-تحدي بالرحلة وتحدي بالوصف .

الفصل الثاني

1 . المعاني الوظيفية للبنى الصرفية :

1.1 تمهيد :

من المبادئ العامة التي تركز عليها الدراسة في تحليل المباني إلى معانيها الوظيفية ، اعتمادها كما أشير إليه سابقا على التفريق بين نوعين من الوظائف وهما : الوظائف الدلالية والوظائف التركيبية ، وعلى مستوى الوظائف الدلالية الخاصة بأقسام الكلم ، ينطلق التحليل من الحدود الدلالية التي وضعتها القواعد اللغوية ، لتمييز كل قسم من أقسام الكلم بما يستقل به في الدلالة عن قسم آخر ، مؤسسا لهذه الرؤية التحليلية على مقولة التقسيم الثلاثي للكلم وتصدّر مبنى الاسم لهذه القائمة ، ومبرر هذا التوجه على المستوى الأول هو الاحتكام إلى الاعتبارات الدلالية في المميزات الوظيفية لمباني التقسيم ، أما مبرره على المستوى الثاني فهو من واقع اللغة نفسه الذي يمنح للاسم مساحة أكبر في حيز التشكل العنصري لوحدات الكلام ، المعطى الذي قد يساهم إلى حد كبير في تفعيل مقولة أن الاسم أصل اللغة .

والحقيقة أن التعاريف التي حدّ بها الاسم في العربية متعددة ، سواء تعلق الأمر بالتراث أو النظرة الجديدة للمحدثين العرب ، وأعتقد أن ذلك الاختلاف مرده إلى شيئين أساسيين هما : اختلاف زوايا النظر إلى الاسم من حيث الوضع الدلالي والإبلاغي والتركيبية ، واختلاف شروط الصياغة التعريفية الخاصة بالمنوالات الإجرائية الخاصة بكل لغة ، وتلك التي تعتمدها اللسانيات من وجهة نظر كونية للغة .

على أن البدء في الاشتغال على الحدود الدلالية للاسم فيما أعترزم له في هذه الدراسة ، يفرض من أجل توضيح الرؤية أكثر ، العودة إلى مناقشة مشهور هذه التعريفات المستفاد من المصنفات السابقة .

إن الحدود الماثورة عن القدامى والتي تستند إلى اعتبارات شكلية وأخرى تركيبية ، كقولهم :

بالجر والتثوين والندا وأل ومسد للاسم تمييز حصل (1)

وما نقل عن الكسائي " أن الاسم ما وصف " (2) ، وكذلك قول الزجاجي : " الاسم في كلام العرب

(1) : ابن عقيل، شرح بن عقيل على ألفية بن مالك .ص 8.

(2) : نقلا عن فاضل الساقى . أقسلم الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة .ص38.

ما كان فاعلا أو مفعولا أو واقعا في حيز الفاعل والمفعول به " (1) ، إنما هي حدود يأتي أغلبها في حيز الوظائف التركيبية التي أرجئ الحديث فيها للفصل الثاني ، أما الحدود الدلالية ، مُشتغل

الدراسة ، فلا بد من التعرّيج كذلك على أقوالهم في هذا الصدد ، لنبين الموقف منها ، والخاصة إلى الحد الدلالي الذي ترتضيه الدراسة من وجهة نظر تطبيقية . لقد اكتفى سيوييه في تحديد الاسم بالتمثيل له ، فقال : " والاسم ، رجل وفرس وحائط " (2) ، والتمثيل هنا يدل على التعيين ، أي تعيين المُسمّى ، وقد يُعترض على هذا الحد ، من جهة عدم منعه الأقسام الأخرى من المشاركة ، إذ دل على مطلق التسمية ، يقول الشيخ "أبو النجا" في حاشيته على شرح الأجرومية للشيخ خالد الأزهري : " واعلم أن الاسم في اللغة كل ما أبان عن مسماه ، فيصدق به وبالفعل وبالحرف " (3) أي يصدق هذا التعريف على الاسم والفعل والحرف جميعا ، ولكنه (الاسم) في الاصطلاح " كلمة ، دلت على معنى في نفسها ولم تقترن بزمان " (4) ، وهو التعريف الذي شاع فيما بعد ، كميز دلالي للاسم لا يكاد يخلو منه مصنف في علم اللغة ، فقد جاء في المُفصّل " الاسم ما دلّ على معنى في نفسه دلالة مجردة عن الاقتران وله خصائص " (5) ، وفي همع الهوامع مثله " الاسم ما دلّ على معنى في نفسه ولم يقترن بزمان " (6) ، والمستفاد من هذه الحدود الدلالية ثلاثة أشياء :

- أن الاسم يُعيّن مُسمّاه ، أي يُسمّيه .

أن دلالاته على مسماه هي دلالة مستقلة ، غير مفتقرة إلى إدماج كمعنى الحرف ، وهو معنى قولهم : في نفسها .

- أنه لا يدل على الزمان دلالة صناعية (*) (صيغية) ، كما الحال في الفعل .

فهذه هي الشروط الأساسية لحد الاسم دلاليا ، ويمكن صياغتها تعريفا على الشكل التالي : الاسم

(1) : نقلا عن عز الدين المجذوب . المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة . ص217.

(2) : سيوييه . الكتاب ج1. ص12.

(3) : أبو النجا . الحاشية . ص18.

(4) : المرجع نفسه . ص18.

(5) : الزمخشري . المفصل . ص23.

(6) : السيوطي . همع الهوامع . ج1 ص22.

(*) : سبقت الإشارة إلى مفهوم هذه الدلالة عند ابن جني في الفصل الأول ، هامش 1 ص27.

من وجهة نظر وظيفية دلالية ما عيّن مُسمّاه تعييناً كاملاً ، مُجرّداً من الدلالة الصيغية على الزمن. أعتقد أن هذه الصيغة التعريفية المستمدة من الحدود السابقة تكون جامعة مانعة إلى حد يمكن الاطمئنان إليه في رصد المباني الاسمية للنص .

2. المعاني الوظيفية لمبنى الاسم :

1.2. معاني الأسماء الجامدة .

سبقت الإشارة إلى أن الاسم هو أول مباني التقسيم بإجماع ، وهو قسيم ثلاثة ، تدرج تحته أنواع كاسم العلم والجثة والحدث والمعنى ، ومجموعة من الأسماء ذات الصلة الاشتقاقية " كقسم الميميات " (1)، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، وصيغ المبالغة ، والصفة المشبهة ، وأفعال التفضيل (*) . وفيما يلي إحصاء عام لمبنى الاسم في المعلقة :

يحتل الاسم النسبة الأكبر في سلسلة النسب الخاصة بأقسام الكلام الثلاثة ، حيث بلغ عدد الأسماء أربعة وأربعين وخمسمائة اسم من مجموع ست وخمسين وثلاثمائة وألف كلمة هي مجموع العناصر الشكلية التي تؤلف البنية الكلية للمدونة ، موزعة حسب التقسيم الثلاثي للكلم ، اسم ، فعل وحرف ، ومباني أخرى متمثلة في الضمائر والأفعال الناقصة قد أثرت تجريدها في قائمة مستقلة:

1: القائمة التجريدية للأسماء الواردة في المعلقة :

خولة	الوشم	صحبي	المالكية	النواصف	ابن يامن	الماء
أطلال	ظاهر	مطيهم	غدوة	دُد	الملاحُ	حيزوم
برقة	اليد	أسى	خلايا	عدولية	طور	الترب
باقي	وقوفا	خدوج	سفين	سفين	حُبَاب	المفايل

(1) : تمام حسان . اللغة العربية معناها ومبناها .ص90.

(*) : قد يبدو أن هناك تعارضا بين الواجهة التطبيقية والاختيارات النظرية للدراسة التي أقرت سابقا اعتمادها إلى حد بعيد على روح الطرح العلمي لكتاب اللغة العربية معناها ومبناها عند تبنيها هنا التقسيم الثلاثي ، ودمج مبنى الصفة في الاسم ، والجواب أن مبرر فصلها هناك غير مبرر دمجها هنا ، ودليل مخالفتي للأستاذ هنا دخولها في التعريف السابق من حيث الوظيفة الدلالية ، وإذا اعترض على ذلك بدلالاتها على الزمن يدل عليه الفعل ، فالجواب من التعريف نفسه الذي يشترط الدلالة الصناعية على الزمن ، إذ دلالتها عليه سياقية بحتة .

اليد	الشمس	الفقين	سقيف	صهابية	خلقاء	قده
الحي	رداءها	الشول	مسند	العثنون	ظهر	عينان
أحوى	نقي	حدائق	ممرد	موجدة	قردد	الماويتين
المرد	اللون	مولى	طي	القرى	أحيانا	كهفي
شادن	الهم	الأسرة	محال	بعيدة	بنائق	حجاجي
مظاهر	احتضاره	أغيد	الحنى	وخذ	غر	صخرة
سمطي	عوجاء	صوت	خلوفه	الرجل	قميص	قلت
لؤلؤ	مرقال	المهيب	أجرنة	مواره	مقعد	مورد
زبرجد	أمون	خصل	دأي	اليد	أتلع	طحوران
خذول	ألواح	روعات	منضد	يداها	نهاض	عوار
ربربا	الأران	أكلف	كناسي	قتل	سكان	القدى
خميلة	لاحب	ملبد	ضالة	شزر	بوصي	مكحولتي
أطراف	ظهر	جناحي	أطر	عضداها	دجلة	مذعورة
البرير	برجد	مضرحي	قسي	سقيف	جمجمة	أم فرقد
ألمى	جمالية	خفافي	صلب	مسند	العلاة	صادقتا
منور	وجناء	العسيب	مؤيد	جنوح	وعى	سمع
حر	سفنجة	مسرد	مرفقان	دفاق	الملتقى	التوجس
الرمل	أزعر	طورا	أفتلان	عندل	حرف	السرى
دعص	أربد	الزميل	سلمى	كتفاها	ميرد	هجس
ندي	عتاق	تارة	دالج	معالي	حد	خفي
إياة	ناجيات	حشف	متشدد	مصعد	قرطاس	صوت
الشمس	وظيفا	الشن	قنطرة	علوب	الشامي	مندد
لثاته	وظيفا	مجدد	الرومي	النسع	مشفر	مؤللتان
إثم	مور	شزر	ربها	دأياتها	سبت	العنق
وجه	معبد	عضداها	قرمد	موارد	اليمني	سامعتي

صم	معجب	مخلدي	صوتها	القوم	نجاه	شاة
صفيح	بهكنة	دفع	صوتها	الحوانيت	الخفيدد	حومل
منضد	الطراف	منيتي	تجاوب	الحي	مثلها	مفرد
الموت	المعمد	يدي	أظآر	الجميع	صاحبي	أروع
الكرام	البرين	ثلاث	ربع	ذروة	النفس	نباض
عقيلة	الدماليج	عيشة	ردي	البيت	خوفا	أحد
مال	عشر	الفتى	تشرابي	الرفيع	مصابا	ململم
الفاحش	جروع	جدك	الخمور	المصمد	مرصد	مرداة
المتشدد	كريم	عودي	لذتي	نداماي	القول	صخر
العيش	نفسه	سبق	بيعي	بيض	فتى	صفيح
كنزا	حياته	العاذلات	إنفاقي	النجوم	القطيع	مصمد
ناقصا	غدا	شربة	طريفي	قينة	آل الأمعز	أعلم
ليلة	الصدي	كميت	متلدي	برد	المتوقد	مخروت
الأيام	قبر	الماء	العشيرة	مجسد	وليدة	الأنف
الدهر	نحام	كري	إفراد	رحيب	مجلس	عتيق
عمرک	بخيل	المضاف	البعير	قطاب	ربها	الأرض
الموت	ماله	مجنبا	المعبد	الجيب	أذيال	مخافة
الفتى	قبر	سيد	بني غبراء	رقيقة	سحل	ملوي
الطول	غوي	الغضا	الطراف	جس	ممدد	القد
المرخى	البطالة	المتورد	الممدد	الندامى	حلال	محصد
ثنياه	مفسد	تقصير	اللائمي	بضة	التلاع	واسط
اليد	حثوتين	يوم	الوغي	المتجرد	مخافة	الكور
الحي	تراب	الدجن	اللذات	رسلها	القوم	رأسها
ابن معبد	صفائح	الدجن	ضرغد	مطروفة	حلقة	ضبعيها
ممرد	أجماع	ساقها	البدء	ربي	قذفي	عمي

منتصرا	الرجال	مؤبد	معضد	قيس	الشكاة	مالكا
ثهمد	ملهذ	شارب	أخي	ربي	مطردي	خير
كهاة	وغلا	بغيه	ثقة	عمرو	مولاي	رمس
مارن	الرجال	متعمد	ضريبة	مال	امرؤ	ملحد
ذاو	عداوة	نفعها	مهلا	كثير	غيره	غير
شديد	الأصحاب	قاصي	حاجزه	بنون	كربي	ذنب
الفتى	المتوحد	البرك	القوم	كرام	غدي	حمولة
الردى	الرجال	الإماء	السلاح	سادة	مولاي	معبد
الفرائص	جراعتي	حوارها	مزيعا	مسود	خانقي	القربى
أصفر	إقدامي	السديف	قائمه	الرجل	الشكر	جدك
مضبوح	صدقي	المسرهد	يدي	الضرب	التسأل	أمر
حواره	محتدي	أهله	برك	خشاش	مفتدي	النكيثة
النار	عمرک	الجيب	هجوذ	رأس	ظلم	الجلي
كف	أمري	ابنة معبد	مخاقتي	الحية	القربى	حماتها
مجمد	غمة	امرئ	واديها	المتوقذ	أشد	الأعداء
الأيام	نهاري	همه	عضب	كشحي	مضاضة	الجهذ
جاهلا	ليلي	همي	مجرد	بطانة	المرء	القدع
الأخبار	سرمد	غنائي	خيف	عضب	وقع	عرضك
الأخبار	النفس	مشهذي	جلالة	رقيق	الحسام	كأس
بتاتا	عراكه	بطيئ	عقيلة	الشفرتين	المهند	حياض
وقت	حفاظا	الجلي	شيخ	مهند	خلقي	الموت
موعد	عوراته	سريع	الوبيل	حسام	شاكر	التهدد
....	التهدد	الخنا	يلندد	منتصرا	بيتي	محدث
....	موطن	ذلول	الوظيف	العود	نائيا	هجائي

وبناء على معطيات القائمة التجريدية للأسماء الواردة في النص فقد بلغت نسبة مبنى الاسم ذروتها

مقارنة بالعناصر الأخرى كما هو مبين في الجدول التالي :

جدول رقم (1): نسب مباني التصريف العامة .

الاسم	الفاعل	الحرف	الضمائر	مباني أخرى
40.11 %	13.49 %	23.00 %	19.98 %	03.39 %

حيث بلغ عدد الأفعال ثلاثة وثمانين ومائة ، واثننا عشرة كلمة وثلاثمائة هي مجموع الحروف ، بينما بلغ عدد الضمائر إحدى وسبعين ومائتي كلمة ، وعادت ست وأربعون كلمة قسمة بين المباني الأخرى ، المتمثلة في الأفعال الناقصة والجامدة وأشباهاها ، وهي عناصر مقصاة من التحليل مع الضمائر .

ولكني آثرت إرجاء التعليق على هذه النسب الكلية للاسم مع نظيرتها في الفعل والحرف إلى نهاية الفصل ، وذلك عندما تنجلي المعاني الجزئية لكل مبنى وما يتضمنه من اعتبارات فرعية لها دلالاتها التي تتشكل منها المعاني العامة للنص.

وبداية مع مبنى الاسم الذي يشغل 544 اسما ، بنسبة مقدرة بـ : 40.11 % ، قمت بتقسيم هذه النسبة على محورين ، وذلك باعتبار الجمود والاشتقاق للاسم ، فأسفرت القسمة عن وضعين مختلفين بلغ عدد الاسم الجامد فيها ثمانية عشر وثلاثمائة اسما جامدا ، بينما انخفض تعداد الأسماء المشتقة إلى ستة وعشرين ومائتين ، وذلك حسب القائمة التجريدية لكل منهما :

2 : القائمة التجريدية للأسماء الجامدة الواردة في المبنى الاسمي :

خولة	سفين	المرد	إثم	سفنجة
أطلال	النواصف	سمطي	وجه	مور
برقة	دد	لؤلؤ	الشمس	القفين
ثهد	سفين	زبرجد	رداءها	الشول
الوشم	ابن يامن	ريربا	اللون	حدائق
اليد	طور	أطراف	الهم	الأسرة
مطيهم	حباب	البرير	احتضاره	صوت
أسى	الماء	الرمل	ألواح	خصل
خدوج	خيزومها	إياة	الأران	جناحي

خدافي	ظهر	الشمس	التراب	غدوة
مضرحي	برجد	لثاته	اليد	خلايا
بيعي	آل الأمعز	عوار	كتفاها	العسيب
إنفاقي	أذيال	القذى	علوب	طور
إفراد	سحل	أم فرقد	النسع	تارة
البعير	التلاع	سمع	دأياتها	حشف
بني غبراء	القوم	التوجس	ظهر	الشن
الطراف	حلقة	السرى	قردد	شزر
الوغى	القوم	هجس	أحياناً	عضداها
اللذات	الحوانيت	صوت	بنائق	طي
دفع	ذروة	العنق	سكان	محال
مניתى	البيت	شاة	بوصي	الحنى
يدي	النجوم	حومل	دجلة	خلوفه
ثلاث	قينة	صخر	جمجمة	أجرنة
عيشة	برد	الأنف	العلاة	دأى
الفتى	قطاب	الأرض	وعى	كناسي
جدك	الجيب	القد	حرف	ضالة
عودي	جس	الكور	حد	أطر
سبق	رسلها	رأسها	قرطاس	قسي
شربة	صوتها	ضبعيها	سبت	سلمى
الماء	صوتها	نجاه	قده	قنطرة

قرد	عينان	الخفيدد	تجاوب	كري
العثون	الماويتين	مثلها	أطّار	سيد
القرى	كهفي	النفس	ربع	الغضا
قتل	حاجي	خوفا	تشرابي	تقصير
شزر	صخرة	القول	الخمور	يوم
عضداها	قلت	فتى	لذتي	الدجن
الدجن	الفتى	امرؤ	البدء	همي
بهكنة	الطول	غيره	أخي	غنائي
الطراف	ثنياه	كري	ثقة	الجلي
البرين	اليد	غدي	مهلا	الخنا
الدماليج	ابن معبد	الشكر	القوم	الرجال
عشر	عمي	التسأل	السلاح	الرجال
جروع	خير	ظلم	يدي	عداوة
نفسه	رمس	المرء	برك	الرجال
حياته	غير	وقع	واديهها	جراعتي
غدا	ذنب	الحسام	عضب	إقدامي
قبر	حمولة	خلقي	كهاة	صدقي
ماله	جداك	بيتي	خيف	عمرك
قبر	أمر	ضرغد	جلالة	أمري
البطالة	النكيثة	قيس	ساقها	غمة
حنوتين	الجلي	عمرو	بغيه	نهاري
تراب	الجهد	مال	نفعها	ليلي
الموت	القدع	بنون	البرك	سرمد
مال	عرضك	الرجل	الإماء	يوم
العيش	كأس	رأس	حوارها	النفس
كنز	حياض	كشحي	السديف	عراكه

حفاظا	أهله	بطانة	الموت	ليلة
عوراته	الجيب	عضب	التهدد	الأيام
التهدد	ابنة	الشفرتين	هجائي	الدهر
الفتى	امرئ	حسام	قذفي	عمر ك
الردى	همه	العود	الشكاة	الموت
وقت	يهاها	يهاها	الرجل	وخذ
....	الأخبار	الأيام	النار	الفرائص
....	بتاتا	الأخبار	كف	حواره

3. القائمة التجريدية للأسماء المشتقة :

مؤلتان	معالي	مجدد	عوجاء	باقي
سامعتي	مصعد	سقيف	مرقال	ظاهر
شاه	موارد	مسند	أمون	وقوفا
مفرد	خلقاء	ممرد	لاحب	صحبى
أروع	غر	منضد	جمالية	المالكية
نباض	قميص	صلب	وجناء	عدولية
أحد	مقعد	مؤيد	أزعر	الملاح
ململم	أتلع	مرفقان	أربد	المفايل
مرداة	نهاض	أقتلان	عناق	الحي
صفيح	الملتقى	دالج	ناجيات	أحوى
مصمد	مبرد	متشدد	وظيفا	شادن
أعلم	الشامي	الرومي	وظيفا	منتصرا
مخروت	مشفر	صهابية	معبد	مظاهر
مارن	اليمني	موجدة	مولى	خذول

عتيق	مورد	بعيدة	أغيد	خميلة
مخافة	طحوران	موارة	المهيب	ألمى
ملوي	مكحولة	سقيف	روعات	منور
محصد	مذعورة	مسند	أكلف	حر
واسط	صادقتا	جنوح	ملبد	دعص
صاحبي	خفي	دفاق	مسرد	ندي
مصابا	مندد	عندل	الزميل	نقي
ذاو	كرام	المتشدد	العشيرة	مرصد
شديد	سادة	ناقص	المعبد	القطيع
المسرهد	مسود	المرخي	الممدد	المتوقد
مشهدي	الضرب	الحي	اللائمي	وليدة
بطيئ	خشاش	مالكا	مخدي	مجلس
سريع	المتوقد	لحد	العاذلات	ربها
لول	رقيق	معبد	كميت	ممدد
أجماع	مهند	الربي	المضاف	حلال
ممدد	معضد	حماتها	مجنبا	مخافة
ملهذ	ضربية	الأعداء	المتورد	الحي
وغلا	حاجزه	محدث	معجب	الجميع
الأصحاب	منيعا	مطردي	المعمد	الرفيع
المتوحد	قائمه	مولاي	كريم	المصمد
ربها	هجود	مولاي	الصدي	نداماي
محتدي	مخافتي	خانقي	نحام	بيض
موطن	مجرد	مفتدي	بخيل	مجسد
أصفر	عقيلة	القربى	غوي	رحيب
مضبوح	شيخ	أشد	مفسد	رقيقة

الندامي	صفائح	مضاضة	الوبيل	مجمد
بضة	صم	المهند	يلندد	جاهلا
المتجرد	صفيح	شاكر	الوظيف	موعد
مطروفة	منضد	نائيا	مؤبد
ردي	الكرام	ربي	شارب
طريفي	عقيلة	ربي	متعمد
متلدي	الفاحش	كثير	قاصي

وبناء على معطيات القائمة التجريدية لكل من الجامد والمشتق في مجال بنية الأسماء يمكن إعادة كتابة كل من النسبتين مؤويا على الشكل التالي :

جدول رقم (2) : تفرع الاسم باعتبار الجمود والاشتقاق.

المشتق	الجامد
41.54 %	58.45 %

ثم عدت إلى قسم الجامد ، وأدرجت تحته اسم الجثة والحدث والمعنى واسم العلم والجنس ، وبعد العملية الإحصائية لكل فرع تبين أن اسم العلم والجنس يمثلان الحلقة الأضعف في القوائم التجريدية ، بينما استأثر اسم الجثة بالحظ الأوفر من ذلك ، يليه اسم الحدث فاسم المعنى وفق القائمة التجريدية لكل قسم منها :

4. لقائمة التجريدية لاسم الجثة :

أطلال	الماء	البرير	ألواح	صوت
برقة	خيزومها	الرمل	الأران	خصل
اليد	الترب	إياة	ظهر	جناحي
مطيهم	اليد	الشمس	برجد	خفاقي
خدوج	المرد	لثاته	سفنجة	مضرحي

خلايا	سمطي	إئمد	مور	العسيب
-------	------	------	-----	--------

سفين	لؤلؤ	وجه	القفين	حشف
النواصف	زبرجد	الشمس	الشول	الشن
سفين	ربربا	رداءها	حدائق	شزر
حباب	أطراف	اللون	الأسرة	عضداها
محال	جمجمة	أذبال	يوم	كأس
الحنى	العلاة	سحل	الدجن	حياض
خوفه	حف	التلاع	الدجن	الشكاة
أجرنة	حد	حلقة	بهكنة	غدي
دأى	قرطاس	الحوانيت	الطراف	الحسام
كناسى	سبت	ذروة	البرين	بيتي
ضالة	عينان	البيت	الدماليج	مال
أطر	الماويتين	النجوم	قبر	بنون
قسي	كهفي	قينة	ماله	الرجل
سلمى	حجاجي	أربد	قبر	رأس
قنطرة	صخرة	قطاب	حثوتين	كشحي
قرمد	قلت	الجيب	تراب	بطانة
العثنون	عوار	صوتها	مال	عضب
القرى	القذى	صوتها	كنز	الشفرتين
شزر	السرى	أظار	ليلة	حسام
عضداها	صوت	ربع	الأيام	السلح
كتفاها	شاة	الخمور	الدهر	يدي
علوب	صخر	البعير	عمر ك	برك
النسع	الأنف	الطراف	الفتى	واديهها
دأباتها	الأرض	الوغى	الطول	عضب
ظهر	القد	يدي	اليد	كهاة
قردد	الكور	الفتى	رمس	خيف

بنائق	رأسها	عودي	حمولة	جلالة
سكان	ضبعيها	الماء	النكيثة	ساقها
بوصي	الفتى	الغضا	الجلي	البرك
حوارها	عمر ك	لفرائص	يذاها	وقت
السديف	نهاري	حواره	يذاها
الجيب	ليلي	الرجل	الأيام
الجلي	يوم	النار	الأخبار
الخنا	الفتى	كف	الأخبار

5. القائمة التجريدية لاسم الحدث :

غدوة	نجاه	سبق	هجائي	إقدامي
طور	خوفا	شربة	قذفي	صدقي
احتضاره	القول	كري	الشكر	أمري
طور	جس	تقصير	التسأل	غمة
تارة	رسلها	غدا	ظلم	عراكه
طي	تجاوب	العيش	وقع	حفاظا
قتل	تشرابي	ثنياه	العود	التهدد
أحيانا	بيعي	أمر	البدء	وخذ
وعي	إنفاقي	الجهد	مهلا	بناتا
سمع	إفراد	القتذع	بغيه
التوجس	دفع	التهدد	غنائي
هجس	عيشة	التهدد	جراعتي

6. القائمة التجريدية لاسم المعنى :

أسى	لذتي	نفسه	الموت	غير
العنق	الذات	حياته	عمي	ذنب
مثلها	مني	البطالة	جدك	جدك
النفس	ثلاث	الموت	خير	عرضك
الموت	خلفي	امرئ	سرمد	الهم
امرئ	أخي	همه	النفس
غيره	ثقة	همي	عوراته
كربي	أهله	عداوة	الردى

7. القائمة التجريدية لاسم الجنس :

أم فرقد	القوم	سيد	الإماء	الرجال
الخفيدد	القوم	المرء	الرجال
آل الأمعز	بني غبراء	القوم	الرجال

8. القائمة التجريدية لاسم العلم :

خولة	ابن يامن	عشر	ضرغد	ابنة معبد
ثهمد	دجلة	جروع	قيس
دد	حومل	ابن معبد	عمرو

وبناء على الوضع الإحصائي لأقسام الجامد يمكن إعادة صياغة نسب الأقسام مؤبياً على الشكل التالي :

جدول رقم (3) : تفرع الجامد باعتبار المعاني .

اسم الجئة	اسم الحدث	اسم المعنى	اسم الجنس	اسم العلم
% 62.26	% 17.92	% 11.63	% 4.08	% 4.08

أمام هذه النسب المسجلة باختلاف ، يمكن الاستغناء عن اسم العلم والجنس لما تبين لي أثناء الدراسة أنهما عنصران لا يشكلان قيمة كبيرة في النص . إذ أن الشاعر قد استعمل أسماء أشخاص وأماكن استعمالاً حقيقياً ، لم يخرج عن نطاق التجربة الحسية المادية ، أما النسب الأخرى فهي – بلا شك – تكشف عن مضامين ذات أبعاد نفسية واجتماعية .

قبل التحدث عن هذه الدلالات يمكن إضافة اسم الحدث لاسم الجثة من زاوية أن كلا منهما واقع تحت التجربة المادية ، أما اسم المعنى فهو مما يقع تحت التجربة الذهنية الشعورية لا مجال للحس فيها .

إن المقابلة بين هذين المعنيين ، تكشف عن المستوى العقلي الاجتماعي للشاعر ، ومن ثمة الإنسان العربي ، داخل المساحة الوصفية التي تسيطر على حيز الشعر الجاهلي " حيث يُميّز الاتساع الوصفي بصورة جازمة الاتجاهات النفسية ، والمواقف العقلية في العالم العربي طوال هذا العهد ، فإن الشاعر كان بصرياً (visuel) حساساً بالأشكال والألوان ، وخصائص المخلوقات والأشياء " (1) . وهذا الذي يفسر بوضوح شيئين أساسيين هما :

-النزعة المادية ، ومعيارها تسليط الحواس على الأشياء وأكثرها العين . وهو السبب الذي كان وراء شيوع الاسم الجامد بنسبة عالية .

-البساطة الاجتماعية والعقلية ، وهي الجانب القليل من اسم المعنى ، لأن اسم المعنى يأتي من طول إعمال الفكرة ، وفلسفة الأشياء . ولو كان للعرب علوم آنذاك وتنظيم حضاري يعكس الجانب العلمي كالذي كان عند المجتمع اليوناني مثلاً ، لما كنا نشك في ارتفاع نسبة اسم المعنى في النص ، وأعتقد أن هذا ملمح أسلوبى عام يمكن الوقوف عليه بوضوح في أبسط مقارنة بين نصوص الأدب الجاهلي والنصوص الأخرى التي جاءت في سياق الحضارة الإسلامية . وقد عكست هذه النسب حقيقة عن النفسية والعقلية العربية من دون ريب ولا مغالاة ، كما عبّرت في توزيعها عن توازن متين بالنسبة لبنية النص .

(1) : رجيس بلاشير. تاريخ الأدب العربي .ص484.

2.2 معاني الأسماء ذات الصفة الاشتقاقية :

على مستوى الأسماء ذات الصفة الاشتقاقية لاحظت تمايزا كبيرا في قائمة النسب ، حيث تصدرت الصفة المشبهة واسم الفاعل المشهد الاشتقاقي لبنية النص متبوعين باسم المفعول وصيغ المبالغة فمجموعة المباني الأخرى ، بينما عادت النسبة الأضعف لاسم الآلة كما هو موضح في القائمة التجريدية التالية :

9. القائمة التجريدية لاسم الفاعل في مبنى المشتق :

مؤبد	ناقصا	صاحبي	ملبد	ظاهر
شارب	مالكا	المتوقد	مجدد	باقي
متعمد	محدث	المتجرد	دالج	وقوفا
قاصي	خانقي	اللائمي	متشدد	صحبي
ذاو	مفتدي	مخلدي	موجدة	المفايل
الأصحاب	شاكر	العاذلات	صادقتا	شادن
المتوحد	نائيا	المتورد	مندد	منتصرا
جاهلا	المتوقد	معجب	سامعتي	مظاهر
.....	معضد	مفسد	شاه	لاحب
.....	حاجزه	الفاحش	مارن	ناجيات
.....	قائمه	المتشدد	واسط	المهيب

10. القائمة التجريدية لاسم المفعول :

المصمد	مخروت	مذعورة	مؤيد	منور
مطروفة	ملوي	مؤلتان	مسند	معبد
متلدي	محصد	مفرد	مصعد	مسند
المعبد	مصابا	مللم	مقدد	ممرد
الممدد	ممدد	مصمد	مكحولة	منضد

.....	ممدد	مسود	المرخي	المضاف
-------	------	------	--------	--------

.....	ملهد	مهند	ملحد	مجنبا
.....	مضبوح	مجرد	مطردي	المعمد
.....	محمد	المسرهد	المهند	منضد

11. القائمة التجريدية للصفة المشبهة :

منيعا	غوي	ربها	سقيف	الحي
عقيلة	صفائح	الحي	صلب	أحوى
شيخ	صم	الجميع	أقتلان	خميلة
الوبيل	صفيح	الرفيع	بعيدة	ألمى
يلندد	الكرام	نداماي	سقيف	حر
الوظيف	عقيلة	بيض	خلقاء	دعص
شديد	الحي	رحيب	غر	ندي
بطيئ	حماتها	رقيقة	قميص	عوجاء
سريع	الأعداء	الندامى	أتلع	وجناء
ذلول	ربي	بضة	خفي	أزعر
أجماع	ربي	ردي	أروع	أربد
وغلا	كثير	طريفي	أحد	عتاق
ربها	كرام	العشيرة	صفيح	وظيفا
أصفر	سادة	كميت	أعلم	وظيفا
.....	الضرب	كريم	عتيق	أغيد
.....	رقيق	الصدي	القطيع	أكلف
.....	ضربية	بخيل	وليدة	الزميل

12. القائمة التجريدية لصيغ المبالغة :

الملاح	أمون	دفاق	طحوران	نحام
خذول	موارة	عندل	نباض	خشاش
مرقال	جنوح	نهاض	حلال	هجود

13. القائمة التجريدية لقسم الميميات ومباني أخرى :

المالكية	الرومي	اليمني	مجسد	مخاقتي
عدولية	صهابية	مورد	معبد	مشهدي
جمالية	معالي	مرداة	القربى	محتدي
وجناء	موارد	مخافة	مولاي	موطن
مولى	الملتقى	مرصد	مولاي	موعد
روعات	الشامي	مجلس	القربى
مرفقان	مشفر	مخافة	مضاضة

14. القائمة التجريدية لاسم الألة :

مسرد	مبرد
------	------

واستنادا إلى وضع هذه الأقسام من خلال القوائم التجريدية يمكن إعادة كتابتها مؤويا على الشكل التالي :

جدول رقم (4) : تفرع المشتق باعتبار المعاني .

اسم الفاعل	اسم المفعول	الصفة المشبهة	صيغ المبالغة	اسم الألة	مباني أخرى (*)
23.00 %	18.14 %	36.72 %	06.63 %	00.88 %	14.15 %

(*) : المصادر الميمية والصناعية واسم الزمان والمكان .

إذا استثنينا مجموعة الأسماء الدالة على المكان والزمان ، النسبة والآلة ، فإننا نجد أن مجموعة الأسماء الأخرى تنهض بدلالة وظيفية عامة في نظام اللغة هي " دلالتها على موصوف بالحدث " (1) ، وفي خصوص كل قسم منها بمعنى مُعَيَّن يُضَيِّف الدكتور فاضل الساقى قائلا : " أما المعنى

الخاص بصيغ الصفة فيتضح بدلالة صفة الفاعل على وصف الفاعل بالحدث على سبيل الانقطاع والتجدد ، وصفة المفعول على وصف المفعول بالحدث على سبيل الانقطاع والتجدد أيضا ، وصفة المبالغة على وصف الفاعل بالحدث على سبيل المبالغة والتكثير ... والصفة المشبهة على وصف الفاعل بالحدث على سبيل الثبات والاستمرار " (2) . وخلافا لذلك تكون هذه الصيغ جميعها دائمة غير منقطعة في دلالتها الوصفية لأسماء الفاعلين وأسماء المفعولين بالحدث ، وأن معنى الدوام فيها ليس نفسه الدوام في اسم الحدث والاسم عموما ، وهو محال ، لأن الأول فيه معنى الفعل ومتطور منه ، ويختلف عنه في كون الأول (الفعل) له زمن صيغي ، أما الثاني فسياقي مطلقا . أما اسم الحدث فلا زمن فيه ، وإنما يدل على الحدث مطلقا من قبيل التسمية اللفظية ، بينما تدل هذه الصيغ على الحدث والزمن على سبيل الاستمرار لا الإطلاق ، فقد تستغرق الماضي كله أو الحاضر كله أو المستقبل كله ، وتختلف قرائنها السياقية عن قرائن الفعل الذي تتعدد فيه الأزمنة النحوية باعتبار القرائن السياقية ، فنجد ماضيا قريبا وآخر بعيدا أو مستقبلا قريبا وآخر بعيدا ، أما هذه الصيغ فلها قرينة أساسية في السياق تقيد بداية الزمن فيها لتنتقل معه بشكل غير منقطع ، فهي دائما استمرار إما في الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، ولهذا اعتبر الكوفيون اسم الفاعل قسما رابعا للفعل أسموه الفعل الدائم ، وفي قول الزمخشري ما يُفسر هذا المعنى وهو يُعَلَّق على قوله تعالى : " والله مُخْرَج ما كنتم تكتمون " (الآية 71 من سورة البقرة) . أن اسم الفاعل هنا قد حكى الماضي من حيث هو ماض عنا ، وقد حكى المستقبل في زمن التدارؤ .. وقد حكى الحاضر في قوله تعالى : " وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد " (3) . (الآية 18 من سورة الكهف) .

(1) : فاضل الساقى . أقسام الكلام العربي . ص 222 .

(2) : فاضل الساقى . أقسام الكلام العربي . ص 221/222 .

(3) : الزمخشري . الكشاف . ج 1 ص 75 .

وبعودتي إلى النص مطمئنا إلى هذه النتيجة ، سأجعل الصفة المشبهة وصيغ المبالغة قيما مضافة إلى اسم الفاعل لاشتراكهما في المعنى الأساسي وهو وصف الفاعل بالحدث ، ثم نقابل بينها وبين اسم المفعول بعد أن نعيد كتابتها على الشكل التالي :

جدول رقم (5) : تفرع المشتق باعتبار الموصوف بالحدث .

اسم الفاعل	اسم المفعول
% 66.35	% 18.14

ولأن الصيغ الأولى (أسماء الفاعلين) عناصر منتجة للحدث والثانية (أسماء المفعولين) مستهلكة للحدث سلبيًا ، فإنها تستطيع أن تكشف لنا المقابلة النسبية هذه ، عن قيم نفسية متضاربة لدى الشاعر والتي تعبر فيها أسماء الفاعلين عن النزعة التحريرية ، والتحدي الصارخ في وجه القهر الطبيعي والقمع الجنسي في بيئة الشاعر ، في حين تعبر نسبة أسماء المفعولين عن الحالة الانهزامية لديه أمام الحالات الاجتماعية القمعية ، ولا بأس أن ترتفع نسبة أسماء الفاعلين لتعطي دلالة على وفرة عنصر إرادة التغيير وتغليب الجانب التحرري على الجانب الانهزامي في الذات.

الزمن والمكان طرفان لحدوث الأشياء ، وضروريان لتنظيم النشاط الكوني ، قد يتسلط المكان بأبعاده المختلفة وقد يصبح قيمة مرفوضة ، والزمن هو الذي يعيد ترتيب الأشياء في المكان فيكسب المكان قيما مرغوبا فيها ، وقد يكون الزمن سرمديا فيتسلط بقيم ثابتة تفتقر إلى الحياة ينجر عنها فقدان الإحساس بالتعاقب الزمني في علاقته النشطة مع المكان . والشاعر في هذا النص لا يرى الزمن إلا من خلال المكان الذي يرسخ فيه قيمه الحافلة بفلسفة مادية ، ونزعة مغرقة في الجهل ، إنك لتراه هاربا من زمن القبيلة إلى زمن الانفراد ، ومن زمن الجد إلى زمن اللهو ، ومن زمن العفة إلى زمن اللذة الساقطة ، وقد يبدو أنه منتصر على الزمن حين عجل بملذاته وشهواته ، لكن الحقيقة أن الزمن من أكثر الأشياء قهرية له وتسلطا عليه ، وأكثر شكواه منه ، ولهذا اختفت نسبة اسم الزمان وراء استعمال جد يسير لاسم المكان.

وثمة قيمة اجتماعية ثقافية أخرى تكشف لنا عنها نسبة اسم الآلة في النص وفي أصغر نسبة لها مقدرة ب : 00.88 % ، عبرت عن المظهر الثقافي الحضاري للبيئة العربية حيث غياب الصنائع

واندثار العمران . وهذه من القيم التاريخية التي حفل بها النص ومظهر من مظاهر الائتلاف الشكلي والمضموني فيه .

3.2. معاني الجامد والمشتق :

الجامد والمشتق نوعان لجنس الاسم ، وللاسم دلالة وظيفية أساسية تتمثل في دلالاته على المسمى مع خلوه من الزمن في بعده الصيغي ، إلا أنه يفيد إثبات القيمة الدلالية للمسمى على سبيل الدوام والاستقرار ، يقول الزمخشري " والتسمية تنويه بالمسمى وإشادة بذكره " (1) .

وبين الجامد والمشتق فروق معنوية داخل النظام العام للغة ، الذي يحكمه مبدأ المبنى والمعنى ، فالجامد بصيغته أصل ثابت في اللغة ، بينما يكون المشتق أصلاً ثانياً متطوراً عن الجامد ضمن علاقات الاشتقاق وقواعده المعروفة ، والاشتقاق توليد شكل لغوي فرعي من آخر أصلي لزيادة المعنى فيه . وقد كانت نسبتا الجامد والمشتق متقاربتين كما هو مبين في الجدول رقم (2) ص (42) ، ما يدل على أن هناك تفاعلاً بين الجامد والمشتق في لغة النص على مستوى المبنى الاسمي ، أما من الناحية الأدبية فقد دل الجامد بنسبته الأوفر على معنى الانغلاق النفسي والجمود الاجتماعي في النص ، وهو معنى ينسجم مع الدلالات الأولى لمعاني أنواع الجامد المؤولة سابقاً ، بينما كشف المشتق عن المحاولة المستمرة في تحريك القيم وخلخلة المعطيات الثابتة وتوليد قيم بديلة عنها ما ينسجم هو الآخر أدبياً مع البعد الثوري (الانفعالي) للنص ، والنزعة التحريرية لاسم الفاعل في المقابلة السابقة .

4.2. معاني التعريف والتكثير :

تتحصر دلالة التعريف والتكثير في عرف اللغة عموماً في معنى تقييد الأولى وإطلاق الثانية ، وأفصح هذه المعاني ما كان معبراً عنه بأل التعريف وعدمها ، وهو الشكل الذي ركزت عليه في هذه المقابلة ، حيث اكتفيت بالمعريف بأل دون أنواع المعارف الأخرى .

" تشير أداة التعريف إلى ما يسمى بالمعلومات السابقة ، بينما تعد أداة التكثير إشارة إلى ما يسمى بالمعلومات اللاحقة (الوحدات اللغوية التي لم يوضحها المتكلم) " (2) ، والمعلومات السابقة هي

(1) : الزمخشري . الكشاف . ج1 ص12 .

(2) : ديتير فيهفيجر مدخل إلى علم اللغة النصي تر: فالج شبيب العجمي . ص29

الجهة المعرفة من أحوال وصفات ، يتعرّفُ بها الاسم ويتعين تعييننا ثابتا ، بينما المعلومات اللاحقة هي مجموع الصفات المرتقبة الاحتمالية التي قد يتعرف بها الاسم فهما من السياق . وقد نافست نسبة المعرف نسبة التنكير في النص إلى حد كبير ، لكن البون بينهما بقي شاسعا ، وقد غلب الجانب الاحتمالي على الجانب الثابت المعلوم في ظل نسبتين متباعدتين كما هو مبين في القائمة التالية :

15. القائمة التجريدية للاسم المعرف :

العاذلات	القوم	الشامي	الهم	خولة
الماء	الحي	اليمني	الأران	برقة
المضاف	الجميع	الماويتين	القفين	ثهد
سيد	البيت	القذى	الشول	الوشم
الغضا	الرفيع	أم فرقد	الأسرة	اليد
المتورد	المصمد	لتوجس	المهيب	المالكية
الدجن	النجوم	السرى	العسيب	النواصف
الدجن	الجيب	العتق	الزميل	دد
الطراف	الندامي	حومل	الشن	ابن يامن
المعمد	المتجرد	الأنف	الشزر	الملاح
البرين	الخمور	الأرض	العضد	الماء
الدماليج	العشيرة	القد	الحي	الترب
عشر	البعير	الكور	الرومي	المفايل
جروع	المعبد	الخفيدد	العثنون	اليد
الصدي	بني غبراء	النفس	القذى	الحي
البطالة	الطراف	القول	الرجل	المرد
اموت	الممدد	القطيع	اليد	البرير
الكرام	اللائمي	آل الأمعز	النسع	الرمل
الفاحش	الوغي	المتوقد	دجلة	الشمس
المتشدد	اللذات	التلاع	العلاة	الشمس
العيش	الفتى	القوم	الملتقى	اللون

الأصحاب	الوبيل	المهند	الجلي	الأيام
المتوحد	الوظيف	قيس	الأعداء	الدهر
الرجال	البرك	عمرو	الجهد	الموت
النفس	الإماء	الرجل	القدع	الفتى
التهدد	السديف	الضرب	الموت	الطول
الفتى	المسرهد	الحية	التهدد	المرخى
الردى	الجيب	المتوقد	الشكاة	اليد
الفرائص	ابنة معبد	الشفرتين	الشكر	الحي
النار	الجلي	العود	التسأل	ابن معبد
الأيام	الخنا	البدء	القربى	معبد
الأخبار	الرجال	القوم	المرء	القربى
الأخبار	الرجال	السلاح	الحسام	النكيثة

16. القائمة التجريدية للاسم المنكر :

برجد	إثم	خزول	عدولية	أطلال
جمالية	وجه	ربربا	سفين	باقي
وجناء	رداء	خميلة	طور	ظاهر
سفنجة	نقي	أطراف	حباب	وقوفا
أزعر	احتضار	ألمى	خيزوم	صحبى
أربد	عوجاء	منور	أحوى	مطيهم
عتاق	مرقال	حر	شادن	أسى
ناحيات	أمون	دعص	مظاهر	خدوج
وظيفا	ألواح	ندي	سمطي	غدوة
وظيفا	لاحب	إياة	لؤلؤ	خلايا
مور	ظهر	لثاة	زبرجد	سفين

أروع	مبرد	مسند	منضد	معبد
نباض	حد	جنوح	كناسي	حدائق
أحد	قرطاس	دفاق	ضالة	مولي
ململم	مشفر	عندل	أطر	أغيد
مرداة	سبت	كتفان	قسي	صوت
صخر	قد	معالي	صلب	خصل
صفيح	عينان	مصعد	مؤيد	روعات
مصمد	كهف	علوب	مرفقان	أكلف
أعلم	حجاجي	دأيات	أفتلان	مليد
مخروت	صخرة	موارد	سلمي	جناحي
مارن	قلت	خلقاء	دالج	مضرحي
عتيق	مورد	ظهر	متشدد	خفافي
مخافة	طحوران	قردد	قنطرة	مسرد
ملوي	عوار	أحيانا	رب	طور
محصد	مكحولة	بنائق	قرمد	تارة
واسط	مذعورة	غر	صهابية	حشف
رأس	صادقة	قميص	موجدة	مجدد
ضبعي	سمع	مقدد	بعيدة	سقيف
نجا	هجس	أتلع	وحد	مسند
مثل	خفي	نهاض	موارة	ممرد
صاحب	صوت	سكان	يد	طي
خوفا	مندد	بوصي	فتل	محال
مصابا	مؤللتان	جمجمة	شزر	خلوف

مرصد	سامعتي	بوصي	عضد	وليدة
------	--------	------	-----	-------

مجلس	سقيف	جمجمة	مفرد	فتى
رب	أظار	وعى	خير	أشد
أذيال	ربع	حرف	رمس	مضاضة
سحل	ردي	بهكنة	ملحد	وقع
ممدد	تشرابي	كريم	غير	خلق
حلال	لذة	نفس	ذنب	بيت
مخافة	بيعي	حياة	حمولة	نائيا
حلقة	إنفاق	غدا	جدك	رب
ذروة	طريف	قبر	أمر	رب
ندامى	متلد	نحام	حماة	مال
بيض	إفراد	بخيل	عرض	كثير
قينة	ضرغد	مال	كأس	بنون
برد	مخد	قبر	حياض	كرام
مجسد	دفع	غوي	محدث	سادة
رحيب	منيتي	مفسد	هجائي	مسود
قطاب	يدي	حثوتين	قذفي	خشاش
رقيقة	ثلاث	تراب	مطردي	رأس
جس	عيشة	صفائح	مولى	كشح
بضة	جدك	صم	امرؤ	بطانة
رسل	عودي	صفيح	غير	عضب
مطروفة	سبق	منضد	كرب	رقيق
صوت	شربة	عقيلة	غد	مهند
صوت	كميت	مال	مولى	حسام
تجاوب	كري	كنز	خانق	منتصرا
ثقة	مجنبا	ناقصا	مفتدي	معضد
ضريبة	تقصير	ليلة	ظلم	أخي

مها	يوم	عم	إقدام	ذاو
حاجز	معجب	مالك	محتد	شديد
منيعا	خيف	ارئ	عمر	أصفر
قائمه	جلالة	همه	أمر	مضبوح
يد	عقبلة	همي	غمة	حوار
برك	شيخ	غنائي	نهار	كف
هجوم	يلندد	مشهد	ليل	مجمد
مخافة	ساق	بطيئ	سرمد	جاهلا
وادي	مؤبد	سريع	عراك	بناتا
عضب	شارب	ذلول	عورات	وقت
مجرد	بغيه	أجماع	موطن	موعد
كهاة	متعمد	ملهذ	ممرد
معجب	نفع	وغلا	منتصرا
الدجن	قاصي	عداوة	مارن

واعتمادا على مضمون القائمة التجريدية لكل من المعرف والمنكر يمكن إعادة صياغتهما مئويا على الشكل التالي :

جدول رقم (6) : تفرع الاسم من حيث التعريف والتكثير .

المعرف	المنكر
30.69 %	69.30 %

لتعطي المقابلة بينهما بعدين فلسفيين متضاربين في النص ، عبرت نسبة التكثير فيه عن الجانب اللايقيني والعالم الشكي في فلسفة "طرفة" ، واحتفظت نسبة التعريف المنخفضة بالتعبير عن الجانب المعلوم من هذه الفلسفة ، ويأتلف هذا المعنى أدبيا من جهته مع المعاني الثورية الأخرى التي حفل بها النص ، وهاهي تتنامى في تفاعل مستمر لتكشف عن الوجه المرتقب للشخصية الأدبية لهذا النص .

5.2. المفرد والجمع :

المفرد في اللغة ، " ما دل على واحد ، كرجل وامرأة وقلم وكتاب ، أو ما ليس مجموعا ولا مثني ولا ملحقا بهما ، ولا من الأسماء الخمسة المبنية في النحو " (1) .

وبناء على هذا التحديد الدلالي للاسم المفرد المستفاد من المصنفات الصرفية ، قمت برصد نسبة مبنى المفرد في المعلقة ، مع مخالفة التعريف السابق في جزئه الأخير الذي يُحيّد الأسماء الخمسة، إذ الظاهر أن تحييدها كان مبنيا على اعتبارات شكلية لا دلالية ، ولما كانت الدراسة تتخذ المميز الدلالي لمباني اللغة منطلقا لها ، فقد رأيت من الضروري دمج الأسماء الخمسة والضماير بأنواعها ، الموصولة والشخصية إلا ما استتر منها ، سواء في فعل أو صفة ما دامت داخلية في المحدد الدلالي المذكور ، وكذلك تم التعامل معها في عملية إحصاء الاسم المجموع . أما المثني فقد تم إسقاطه من حيز التحليل من حيث إفراده كعنصر مبنوي ، يحمل خصائص دلالية في البنية الكبرى للنص ، ولهذا تم التعامل معه كقيمة مضافة للاسم المجموع ، لمخالفته المفرد والتحاقه بالجمع من حيث الدلالة على أكثر من الواحد .

ومع إضافة المثني للمجموع ، إلا أن نسبة المفرد باتت تستأثر بالمساحة البنيوية للنص في بعدها الاسمي ، محققة الرقم القياسي في نسب المباني كلها ، بينما تراجعت نسبة المجموع في أدنى مستوى لها بالمقارنة مع المفرد كما هو مبين في القائمة :

17. القائمة التجريدية للمفرد :

خولة	تهمد	الوشم	اليد	المالكية
برقة	باقي	ظاهر	أسي	غدوة

(1) : أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي .شذا العرف في فن الصرف .ص122.

سفين	دعص	وظيفا	الحنى	سقيف
دد	ندي	وظبفا	خلوفه	مسند
عدولية	إياة	مور	دأي	جنوح
سفين	الشمس	معبد	منضد	دفاق
ابن يامن	لثاته	الشول	ضالة	عندل

الملاح	إثمد	مولى	صلب	معلى
طروا	وجه	أغيد	مؤيد	مصعد
الماء	الشمس	صوت	سلمى	النسع
خيزومه	رداءها	المهيب	دالج	خلقاء
المفايل	نقي	أكلف	متشدد	ظهر
اليد	اللون	ملبد	قنطرة	قردد
الحي	الهم	العسيب	الرومي	قميص
أحوى	احتضاره	مسرد	ربها	مقدد
المرد	عوجاء	طورا	قرمد	اتلع
شادن	مرقال	الزميل	صهابية	نهاض
لؤلؤ	أمون	حشف	العثنون	سكان
زبرجد	الاران	الشن	موجدة	بوصي
مظاهر	لاحب	ذاو	القرى	دجلة
خذول	ظهر	مجدد	بعيدة	جمجمة
ربربا	برجد	شزر	وخذ	العلاة
خميلة	جمالية	سقيف	الرجل	وعى
ألمى	وجناء	مسند	موارة	الملتقى
منورا	سفنجة	ممرد	اليد	حرف
حر	أزعر	طي	قتل	مبرد
الرمل	أربد	محال	شزر	حد
قرطاس	نباض	خوفا	بضة	يدي
الشامي	أحد	مصابا	المتجرد	عيشة
مشفر	ملمم	مرصد	رسلها	الفتى
سبت	مرداة	القول	مطروفة	جدك
اليمني	صخر	القطيع	صوتها	سبقي
قده	صفيح	المتوقد	صوتها	شربة

صخرة	مصمد	وليدة	تجاوب	كميت
قلت	أعلم	مجلس	ربع	الماء
مورد	مخروت	ربها	ردي	كري
عوار	الانف	سحل	تشرابي	المضاف
القذى	مارن	ممدد	لذتي	مجنبا
مذعورة	عتيق	حلال	بيعي	المتورد
أم فرقد	الارض	مخافة	إنفاقي	تقصير
سمع	مخافة	حلقة	طريفي	يوم
التوجس	ملوي	الحي	متلدي	الدجن
السرى	القد	ذروة	العشيرة	الدجن
هجس	محصد	البيت	إفراد	معجب
خفي	واسط	الرفيع	البعير	بهكنة
صوت	الكور	المصمد	المعبد	الطراف
مندد	رأسها	قينة	الطراف	المعمد
العتق	نجا	برد	الممدد	كريم
شاة	الخفيدد	مجسد	اللائمي	نفسه
حومل	مثلها	رحيب	الوغي	حياته
مفرد	صاحبي	الجيب	مخلدي	غدا
أروع	النفس	رقية	منيتي	الصدي
قبر	المرخى	غيره	كثير	يدي
نحام	ثنياه	كربي	مسود	مخافتي
بخيل	اليد	غدي	الرجل	واديها
ماله	الحي	مولاي	الضرب	عضب
قبر	ابن معبد	امرؤ	خشاش	مجرد
غوي	غير	خانقي	رأس	كهاة
البطالة	ذنب	الشكر	الحية	خيف

مفسد	حمولة	التسأل	المتوقد	جلالة
تراب	معبد	مفتدي	كشحي	عقيلة
صفيح	جدك	ظلم	بطانة	شيخ
منضد	أمر	أشد	عضب	الوبيل
الموت	النكيثة	مضاضة	رقيق	يلندد
عقيلة	الجلي	وقع	مهند	الوظيف
مال	الجهد	الحسام	حسام	ساقها
الفاحش	القدع	المهند	منتصرا	مؤبد
المتشدد	عرضك	خلقي	العود	شارب
العيش	كأس	شاكر	البدء	شديد
كنزا	الموت	بيتي	معضد	بغيه
ناقصا	التهدد	نائيا	أخي	متعمد
ليلة	محدث	ضرغد	يقة	نفعها
الدهر	هجائي	ربي	ضريبة	قاصي
عمرک	قذفي	قيس	مهلا	حوارها
الموت	الشكاة	ربي	حاجزه	السديف
الفتى	مطردي	عمر و	السلاح	المسرهد
الطول	مولاي	مال	منيعا	أهله
ابنة معبد	الخنا	محتدي	حفاظا	كف
امرئ	ذلول	عمرک	التهدد	جاهلا
همه	ملهد	أمري	موطن	وقت
همي	وغلا	غمة	الفتى	موعد
غنائي	عداوة	نهارى	الردى
مشهدي	المتوحد	ليلي	أصفر
بطيئ	جراعتي	سرمد	مضبوح
سريع	صدقي	النفس	حواره

الجيب	إقدامي	عراكه	النار
-------	--------	-------	-------	------

18. القائمة التجريدية لاسم الجمع :

أطلال	حائق	غر	بني غبراء	حماتها
وقوفا	الأسرة	آل الامعز	الذات	الأعداء
صحبي	خصل	أذيال	عودي	حياض
مطيهم	روعات	التلاع	العاذلات	القربى
خدوج	محال	القوم	سيد	المرء
خلايا	أجرنة	القوم	البرين	بنون
النواصف	أطر	الحوانيت	الدماليج	كرام
حباب	قسي	نداماي	عشر	سادة
الترب	قرمد	بيض	جروع	ثلاث
أطراف	علوب	النجوم	صفائح	الجميع
البرير	دأباتها	قطاب	صم	القوم
ألواح	موارد	الندامى	الكرام	برك
عتاق	أحيانا	أظار	الأيام	هجود
الإماء	بنائق	الخمور	القربى	البرك
النجوم	الرجال	الرجال	الأيام
أجماع	الأصحاب	عوراته	الأخبار
ناجيات	الرجال	الفرائص	الاخبار

وانطلاقا من المعطيات العددية لكل من الاسم المفرد والجمع في القائمة التجريدية يمكن إعادة كتابة

النسبتين مئويا على الشكل التالي :

جدول رقم : (7) . تفرع الاسم من حيث الأفراد والجمع .

المفرد	المجموع
--------	---------

أمام هذه النسبة الباهرة للاسم المفرد في جنب النسبة المتخافتة للمجموع ، الذي كاد يُغيب عن مسرح البنية النصية ، لا ينبغي أن ننجرّ وراء طرح ساذج ربما يردّ عوامل هذا التوزيع إلى محض المصادفات الخالية من الدلالة ، فالظاهر أن المفرد ما كان شيوعه بهذه النسبة إلا لدلالات تتعرف أولاً من واقع اللغة نفسه .

فإذا كان المفرد يدل على الواحد والجمع خلافه ، فإن نسبة المفرد في النص قد كرست النزعة الفردية ، والنظرة الأحادية للأشياء ، وبات الحديث عن المجموع الذي يكرس نزعة الانتماء شيئاً لا يكاد يذكر ، ولعل نظرة أخرى على مباني ضمائر الشخص المفردة ، و ضمائر الشخص الجمعية ، بمعزل عن نسبة الأسماء العامة من شأنها أن تعزز هذا الطرح وتؤكد النزعة الفردية ، والاعتداد بالذات الذي تكشف عنه النسبة العالية لضمائر الشخص المفردة ، التي تم استعمالها في النص . والجدير بالتنبيه عليه في هذا السياق أن هذه الظاهرة (شيوع المفرد) ، ليست حكراً على هذا النص المدروس ولكنه ملمح أسلوبى من الوجهة التعبيرية ، تنصبغ به النصوص الجاهلية بشكل عام . أما فيما يتعلق بالشاعر نفسه فإن شيوع نسبة المفرد تعكس بوضوح علاقته المتأزمة بالقبيلة، والتي يصرح عنها في أكثر من موضع في المعلقة كما في غيرها :

متى أدنُ منه ينأ عني ويبعدُ	فما لي أراني وابن عمّي مالكا
على القلب من وقع الحسام المهند (1)	وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة
صغر البنون ووجهُ وردة عُيبُ (2)	ما تنظرون بحقّ وردة فيكمُ

(1) : الزوزني، شرح المعقلقات السبع ص 49/48.

(2) : ديوان طرفة بن العبد ص 11.

6.2. المذكر والمؤنث :

المذكر والمؤنث مصطلحان يؤشر معناهما على الفروق الفطرية والخصائص الجنسية ، التي تجعل عنصرا ما في الوجود لا يشارك عنصرا آخر من الناحية الوظيفية ، وقد تعمّم هذا المصطلح ليشمل جميع أجناس الموجودات انطلاقا من الوضع الإنساني للرجل والمرأة . وأما دلالته في اللغة فقد جرت على الحقيقة تبعا للوضع الفلسفي للذكر والأنثى ، إلا أنه في المؤنث ينقسم إلى قسمين : حقيقي ، " وهو ما دلّ على ذات حرّ (فرج) كفاطمة وهند ، ومجازي (معنوي) وهو ما ليس كذلك كأذن ونار ، ويستدل على تأنيثه " بضمير المؤنث ، أو إشارته أو لحوق تاء الفعل " (1) . ومعنى ذلك أن اللغة تفرق بين المؤنث والتأنيث ، فالمؤنث ما دل على أنوثة حقيقية ، أما التأنيث فسلك اجتماعي في اللغة ، يلحق مجموعة من المسميات بالمؤنث من غير تبرير عقلي لذلك ، ولهذا سمي مؤنثا مجازيا أو معنويا ، وهو السبب في اختلاف المسمى الواحد من حيث التذكير والتأنيث من لغة إلى أخرى . وعلاماته في اللغة العربية التاء الساكنة المتصلة بالفعل ، وضمير المؤنث ، " والألف

والتاء والياء " (2) ، " ولكون المذكر هو الأصل ، لم يُحتج فيه إلى علامة " (3) ، وليس تنفك لغة في الوجود من مظاهر التعبير بالمذكر والمؤنث في التواصل اللغوي ، إلا أن التعبير بهما أو عنهما ، يختلف كما أشرت سابقا من لغة إلى أخرى ، ولما كان التأنيث في اللغة إنما هو سلوك اجتماعي فإنه لا محالة يحمل دلالات اجتماعية نفسية عن المجموعة الناطقة بتلك اللغة ، التي تجعل للمذكر والمؤنث وضعاً متميزاً قد يعبر في كثير من الأحيان عن طبيعة حضور كل منهما في الذاكرة الجماعية أو الواقع الاجتماعي للمجموعة .. إذن، فكيف كان وضع المذكر والمؤنث في النص الذي بين أيدينا ..؟.

قاربت نسبة المذكر في النص نسبة المفرد فيه ، لدرجة كاد يتساوى فيها الطرفان ، في الوقت الذي سجل فيه تهافت كبير للمؤنث بشكل يكاد يتساوى مع بنية الجمع المتحدث عنها في العنصر السابق من التحليل. وظل الفرق شاسعاً بين نسبة المذكر العالية والنسبة المنحطة للمؤنث بصورة

(1) : الحملاوي .شذا العرف في فن الصرف.ص113.

(2) : الزمخشري .المفصل .ص247.

(3) : الحملاوي .شذا العرف في فن الصرف .ص113.

تطرح مجموعة من التساؤلات حول طبيعة هذا الوضع ، الذي هيمن فيه مبنى المذكر بصورة شبه
كلية ، كما هو مبيّن في القائمة التالية :

19. القائمة التجريدية للاسم المذكر :

أفتلان	طرور	لاحب	شادن	أطلال
سلمى	الزميل	ظهر	مظاهر	ثهد
دالج	حشف	برجد	سمطي	باقي
متشدد	الشن	أزعر	لؤلؤ	الوشم
الرومي	ذاو	أربد	زبرجد	ظاهر
ربها	مجدد	وظيفا	رربا	وقوفا
قرمد	شزر	وظيفا	البرير	صحي
العثنون	عضداها	مور	ألمى	أسى
القرى	سقيف	معبد	منورا	خدوج
وخذ	مسند	القفين	حر	سفين
قتل	طي	الشول	الرمل	النواصف
شزر	محال	مولى	دعص	دد
عضداها	الحنى	أغيد	ندي	سفين
سقيف	خلوفه	صوت	إئمد	ابن يامن
ممرد	دأى	المهيب	وجه	الملاح
معالى	منضد	أكلف	رداءها	حباب
مصعد	كناسى	ملبد	نقى	الماء
علوب	أطر	جناحي	اللون	خيزومها
النسع	قسي	مضرحى	الهم	الترب
موارد	صلب	خفافي	احتضاره	المفايل
ظهر	مؤيد	العسيب	ألواح	الحي
قردد	مرفقان	مسرد	الأران	أحوى

الممدد	برد	الخفيدد	سمع	أحيانا
اللائمي	مجسد	صاحبي	التوجس	قميص
الوغي	رحيب	خوفا	السرى	مقعد
مخدي	قطاب	مصابا	هجس	أتلع
دفع	الجيب	مرصد	خفي	نهاض
الفتى	جس	القطيع	صوت	أحد
جدك	الندامى	آل الأمعز	مندد	مللم
عودي	المتجرد	المتوقد	العنق	سكان
سبق	رسلها	مجلس	حومل	بوصي
العاذلات	صوتها	ربها	مفرد	وعى
كميت	صوتها	أذيال	أروع	الملتقى
الماء	تجاوب	سحل	صخر	حرف
كري	أظار	ممدد	صفيح	مبرد
المضاف	ربع	حلال	مصمد	حد
مجنبا	ردي	القوم	أعلم	قرطاس
سيد	تشرابي	القوم	مخروت	الشامى
المتورد	بيعي	الحوانيت	مارن	مشفر
تقصير	إنفاقي	الحي	عتيق	سبت
يوم	طريفي	الجميع	ملوي	اليمانى
الدجن	متلدي	البيت	القد	قده
الدجن	إفراد	الرفيع	محصد	كهفي
معجب	البعير	المصمد	واسط	حجاجي
الطراف	المعبد	نداماي	الكور	مورد
المعمد	بني غبراء	بيض	ضبعيها	عوار
البرين	الطراف		نجا	القذى

معضد	بيتي	التهدد	عمر ك	الدماليج
أخي	نائيا	حدث	الموت	عشر
مهلا	ضرغد	محدث	الفتى	جروع
حاجزه	ربي	هجائي	الطول	كريم
القوم	قيس	قذفي	المرخى	غدا
السلح	ربي	مطردي	ثنياه	الصدى
منيعا	عمرو	مولاي	الحي	قبر
قائمه	مال	امرؤ	ابن معبد	نحام
واديها	كثير	غيره	عمي	بخيل
عضب	بنون	كربي	مالكا	ماله
مجرد	كرام	غدي	خير	قبر
خبف	سادة	مولاي	رمس	غوي
شيخ	مسود	امرؤ	ملحد	مفسد
الوبيل	الرجل	خانقي	غير	تراب
يلندد	الضرب	الشكر	ذنب	صفيح
الوظيف	خشاش	التشال	معبد	منضد
ساقها	المتوقد	مفتدي	جداك	كرام
مؤبد	كشحي	ظلم	أمر	مال
شارب	عضب	أشد	حماتها	الفاحش
شديد	رقيق	المرء	الاعداء	المتشدد
بغيه	مهند	وقع	الجهد	العيش
متعمد	حسام	الحسام	القتدع	كنزا
نفعه	منتصرا	المهند	عرضك	ناقصا
قاصي	العود	خلقى	حياض	الأيام
حواره	البدء	شاكر	الموت	الدهر
حواره	حفاظا	الرجال	بطيئ	الغضا

السديف	سريع	إقدامي	التهدد	كف
المسرهد	ذلول	صدقي	موطن	مجمد
أهله	أجماع	محتدي	الفتى	الأيام
الجيب	الرجال	عمرک	ممرد	جاهلا
امرئ	ملهذ	أمري	منتصرا	الأخبار
همه	وغلا	نهاري	الفتى	الأخبار
همي	الرجال	ليلي	الردى	وقت
غنائي	الأصحاب	سرمد	أصفر	موعد
مشهدي	المتوحد	عراکه	مضبوح

20. القائمة التجريدية لاسم المونث :

خولة	الشمس	روعات	دفاق	قلت
برقة	لثاته	تارة	عندل	مرود
اليد	عوجاء	أجرنة	كتفاها	طحوران
مطيهم	مرقال	ضالة	دأباتها	مكحولتي
المالكية	أمون	قنطرة	خلقاء	مذعورة
غدوة	جمالية	صهابية	بنائق	أم فرقد
خلايا	وجناء	موجدة	غر	صادقتنا
عدولية	سفنجة	بعيدة	دجلة	مؤللتان
اليد	عتاق	الرجل	جمجمة	سامعتي
خذول	ناجيات	موارة	العلاة	شاة
خميلة	حدائق	اليد	عينان	مرداة
أطراف	الأسرة	يداها	الماويتين	الأنف
إياة	خصل	جنوح	صخرة	الأرض

مخافة	الخمور	صفائح	الحية	الجلي
-------	--------	-------	-------	-------

رأسها	لذتي	صم	رأس	الخنا
مثلها	العشيرة	الموت	بطانة	عداوة
النفس	الذات	عقيلة	الشفرتين	جراعتي
وليدة	منيتي	ليلة	ثقة	غمة
التلاع	يدي	اليد	ضريبة	النفس
مخافة	ثلاث	حمولة	يدي	عوراته
حلقة	عيشة	القربى	برك	الفرائص
ذروة	العذلات	النكيثة	هجود	النار
النجوم	شربة	الجلي	مخاقتي
قينة	نفسه	كأس	جلالة
رقيقة	حياته	الشكاة	عقيلة
بضة	البطالة	القربى	الإماء
مطروفة	حثوتين	مضاضة	ابنة معبد

واستنادا إلى الوضعين المختلفين لكل من المذكر والمؤنث من خلال القائمة التجريدية ، يمكن إعادة صياغتهما مئويا على الشكل التالي :

جدول رقم (8): تفرع الاسم من حيث التذكير والتأنيث .

المؤنث	المذكر
24.81 %	75.18 %

مع كون التحليل في هذه الجهة قد استوعب كلا من العناصر المؤنثة والعناصر التأنيثية على حد سواء إلا أن المؤنث لم يصمد أمام نسبة المذكر المتنامية في النص ، إلى حد كاد المؤنث أن يكون عنصرا مغيبا في بنية النص الاسمية .

ولما كانت دلالة المذكر والمؤنث في اللغة تتأسس أصلا على الوضع الفلسفي لثنائية (ذكر + أنثى) ، فإن النسبة العالية للمذكر في بنية النص اللغوية ، تعكس بوضوح مكانة الذكر في البنية الذهنية للغة ، ومن ثم ، مكانة الرجل في البنية الاجتماعية للمجتمع العربي ، الموصوف بالمجتمع

الذكوري ، بما يحمله هذا التركيب الوصفي من معاني القهر والاضطهاد . فصدارة نسبة المذكر للمشهد اللغوي وتغييب المؤنث في البنية الذهنية (العميقة) للغة النص ، هو في الحقيقة نقلة أمينة لتصدُّر الرجل للمشهد الاجتماعي وتغييب المرأة عن المشاركة في النشاط الاجتماعي الخلاق . والملاحظ أن هيمنة المذكر على البنية الاسمية في لغة النص بما حملته من دلالات ، تنسجم مع هيمنة المفرد في التحليل السابق بما حملته من دلالات التفرد والاعتداد بالذات ، وهو المنطلق الذي يقوم أساسا على فكرة إلغاء الآخر .. فما بالك به امرأة .

وفي الواقع الشعري للأدب العربي في العصر الحديث ، نجد كمّا معتبرا من النصوص الأدبية التي يُهيمن فيها العنصر التأنثي على التركيب اللغوية للنص(*)، فهل يُفهم من ذلك أن المجتمع العربي قد عرف مرحلة تحوّل تاريخي يشهد فيها سيطرة المفاهيم الأنثوية على المشهد الاجتماعي الثقافي .. !! هذا ما يجب أن يستقل ببحث خاص .

(*) : وذلك منذ أيام النهضة مع رواية زينب لمحمد حسنين هيكل إلى باقي الأعمال الشعرية التي يسيطر على تراكيبها ضمير الأنثى في أبعاده الرمزية كشعر الأستاذ مصطفى محمد الغماري من خلال أسرار الغربة وغيرهم . .

3 . المعاني الوظيفية لمبنى الفعل :

1.3 . تمهيد:

الفعل مبنى تقسيمي ثان من مباني التقسيم المعروفة ، وهو كل كلمة دلت على حدث وزمن ، " ودلالته على الحدث تأتي من اشتراكه مع مصدره في مادة واحدة .. وأما معنى الزمن فإنه يأتي على المستوى الصرفي في شكل الصيغة ، وعلى المستوى النحوي من مجرى السياق " (1) ، أي أن للفعل دالتين أساسيتين هما : دلالة على الحدث مفهومة من اللفظ ، ودلالة على الزمن مفهومة من الصيغة . وبالنظر إليه كعنصر اشتقاقي فإنه يتحين لدلالات أخرى باعتبار الشكل ، إلا أن هذا الاعتبار قد أسقطته من حيز التحليل (*) ، حيث نظر إلى الفعل من زاويتين هما الدلالة على الحدث والدلالة على الزمن .

2.3 . من حيث الدلالة على الحدث :

في هذه المقابلة ركزت على معنى الحدث المستخلص من لفظ الكلمة ، وتوزيع الفعل عبر الشرائح النصية الثلاث ، حيث توزع الفعل بشكل غير متكافئ بين هذه الشرائح بنسب محصاة باختلاف كما هو مبين في القائمة التالية :

21 . القائمة التجريدية للفعل في الشريحة النصية الأولى :

تلك	يجور	ينفض	تبسم	تقدم
يقولون	يهتدي	تراعي	تخل	حلت
لا تهلك	يشق	تناول	سقيته	لم تقدم
تجد	قسم	ترتدي	أسف

(1) : تمام حسان . اللغة العربية معناها ومبناها ص104 .

(*) : من هذه الاعتبارات معاني التجرد والزيادة كالمطاوعة والمبالغة والمشاركة... الخ.

22. القائمة التجريدية للفعل في الشريحة النصية الثانية :

أمري	تبري	تري	يكنفانها	أمرت
تروح	تباري	تتقي	تمر	أجنحت
نغتدي	أتبعث	تكفنا	أقسم	أفرعت
نصاتها	تربعت	أكمل	لتكتفن	تلاقي
تردي	ترتعي	لزت	تشاد	تبين
صعدت	شئت	أفديك	عنيت	ذالت
تصعد	سامي	أفتدي	لم أكسل	ذالت
استكننا	عامت	جاشت	لم أتبلد	تري
تعرف	أمضي	خاله	أحلت
ترجم	قيل	قالوا	أجذمت
تزد	قال	خلت	خب

23. القائمة التجريدية للفعل في الشريحة النصية الثالثة :

يسترفد	لا ينكرونني	أرى	طلبته	شاء
أرقد	أحضر	تري	وضعناه	شاء
تبغني	أحضر	أرى	قلته	زارني
تلقني	أشهد	يعتام	نشدت	تعرفونه
تقتنني	لا تستطيع	يصطفي	لم أغفل	آليت
تصطد	دعني	أرى	قربت	قمت
يلتقي	أبادرها	تنقص	أشهد	كفي
تلاقني	ملكنت	ينفذ	أدعى	لا يبتني
تروح	لم أحفل	أخطأ	يأتيك	قيل
قلنا	قام	يلوم	أجهد	قال
أسمعتنا	تعلى	أدري	يقذفوا	ابتدر
أنبرت	تزد	يلومني	أسقهم	وجدتني

لم تشدد	عاقبت	لامني	أحدثته	بالت
رجعت	لم يخضد	أدنو	فرج	أثارت
خلت	يروى	ينأى	أنظرني	أمشي
تحامنتي	ستعلم	يبعد	ذرني	مرت
أفردت	متنا	أيأسني	حل	يقول
تر	يسعى	ضرني	نظرت	يأتيك
ترى	مت	نفى	استودعته	لم تبع
قال	انعيني	حبست	ستبدي	لم تضرب
تكفوا	شقي	يخشى	يأتيك
يزدد	لا تجعليني	تعترك	يأتيك
يمتلن	يغني	يرعد	لم تزود

وانطلاقاً من الوضع المختلف لتوزيع الفعل عبر الشرائح النصية الثلاث من خلال القوائم السابقة يمكن إعادة كتابة النسب مئوية على الشكل التالي :

جدول رقم (7): توزيع الفعل على الشرائح النصية

الشريحة الأولى	الشريحة الثانية	الشريحة الثالثة
10.38 %	28.41 %	61.20 %

وبالنظر إلى المحتوى الإبلاغي لكل شريحة ، نجد أن الشريحتين الأولى والثانية تشتركان في غرض واحد ، هو الوصف ، وعليه كان مبرراً أن يُنظر إلى النسبتين على أنهما نسبة واحدة ، مقدرة بـ : 38.79 % ، في مقابل النسبة المتبقية للشريحة الثالثة ، لنحاول بعدها معرفة العوامل النصية المتحكمة في هذا التوزيع .

وبالعودة إلى مضمون الشرائح ، نجد أن شكل التوزيع هذا يُعدّ ظاهرة أسلوبية متينة في نظام النص الصرفي ، حيث الغرض الوصفي الذي يتطلب معاني ثابتة للوصف ، ويختار لها عناصر صرفية (شكلية) دالة على الثبات أيضاً ، وهو ما يفسر تراجع نسبة الفعل هناك أمام نسبة الأسماء والصفات ، أما الشريحة الثالثة فقد احتوى مضمونها الإبلاغي مواقف اجتماعية إنسانية ، عبر مثلث

الشكوى والفخر والحكمة ، تجنحُ إلى الفلسفة والتأمل ، وهو الذي أسس لمنظومة متنامية لمبنى الفعل لاستيعاب عناصر فلسفية خاضعة لمبدأ التجدد والتغير ، وهي دلالة الفعل التي لا تعبر عنها الأسماء والصفات ، وهنا تضافر أسلوبين متين أسهم بشكل كبير فيه مبنى الفعل في توازن النص .

3.3. من حيث دلالاته على الزمن :

في هذه المقابلة التي جمعت بين معطيات زمنية ثلاث هي : الماضي ، الحاضر والمستقبل ، وهي أزمنة فلسفية نرى من خلالها علاقة صاحب النص بالزمن ، كانت نسبة الماضي هي أعلى النسب متبوعة بالحاضر ثم المستقبل كما هو مُبيّن في القائمة التالية :

24. القائمة التجريدية للأفعال الدالة على الزمن الماضي في النص :

يقولون	سفته	أقسم	لم ترقل	لم اتبلد
يجور	أسف	أمرت	أرقلت	أحلت
يهتدي	لم تكدم	أجنحت	سامى	أجذمت
يشق	حلت	أفرغت	عامت	خب
قسم	لم يتحدد	تلاقى	قال	ذالت
ينفض	نصاتها	صعدت	جاشت	ذالت
تراعي	أتبعت	تصعد	خاله	تري
تناول	تربعت	استكنتنا	قالوا	تروح
ترتدي	تكفنا	تعرف	خلت	قلنا
تبسم	أكمل	شئت	عنيت	أنبرت
تخلل	لزت	شئت	لم أكسل	لم تشدد

(*) : في هذا الجزء تم التعامل مع الفعل في الدلالة على الزمن باعتبار السياق وليس الصيغة .

رجعت	أرى	قلته	آليت	تعرفونه
خلت	ترى	نشدت	قمت	ترّ
تحامنتي	أرى	لم أغفل	كفى	قال

أفردت	يعتام	قربت	قيل	يمثلن
لا ينكرونني	يصطفي	أحدثه	قال	يسعى
ملك	أرى	فرج	ابتدر	ضرني
قام	أخطأ	أنظرني	وجدتني	نفي
تعلی	لامني	حل	بلت	حبست
تزيد	أياسني	شاء	أثارت	يخشى
علقت	طالبته	شاء	فمرت	نظرت
لم يخضد	وضعناه	زارني	يقول	استودعته

25. القائمة التجريدية للأفعال الدالة على الزمن الحاضر في النص :

تلوح	يكنفانها	تلقني	ينفذ	لا ينتهي
لا تهلك	تمر	تقتنصني	يلوم	أمشي
لم يتخذ	تبين	تصطد	يلومني	تري
أمضي	ترجم	يلتقي	أدنوا	أتيت
تروح	تردد	تلاقني	يبعد	تكفوا
تغتدي	أفديك	أحضر	ينأى	يزدد
تردي	أفتدي	أشهد	أشهد	يغني
تبري	لم أكسل	لا تستطيع	أدعى	تعترك
تباري	لم أتبدل	أبادرها	يأتيك	يرعد
ترتعي	يسترفد	لم أحفل	أجهد	لم تزود
تريع	أرقد	يروى	يقذفوا	لم تبع
تتقي	تبغني	تنقص	أسقهم	لم تضرب

26. القائمة التجريدية للأفعال الدالة على الزمن الاستقبالي في النص :

ستعلم	مت	ستبدي	يأتيك	يأتيك
-------	----	-------	-------	-------

واستنادا إلى الوضع المتميز للأفعال من حيث الدلالة على الزمن من خلال القوائم السابقة يمكن إعادة كتابتها مئويا على الشكل التالي :

جدول رقم (8): تفرع مبنى الفعل باعتبار الدلالة على الزمن.

الزمن الماضي	الزمن الحاضر	الزمن المستقبل
% 60.10	% 32.78	% 02.73

من خلال هذه النسب التقابلية تهيأ لي أن علاقة صاحب النص بالزمن ، يحكمها مبدأ العبث واللاتوازن ، حيث أختزل الزمن عنده في بعدين فقط ، ماض للذكرى وهو الأكثر شيوعا ، وحاضر للذة ، بينما أبدى استهتارا شديدا بالمستقبل ، حتى أن التعبير عنه بصريح الصيغة الاقترائية (سيفعل) لم يُرَ إلا في وحدتين شعريتين لخص فيهما موقفا من الحياة :

كريم يُروِّي نفسه في حياته ستعلم إن متنا غدا أيتنا الصّدي

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وزمن الاستقبال فيها غير مقصود رؤية ، وإنما ينهض معنى (السين) في هذا السياق بمعنى التوكيد ، يخرج فيه " طرفة " في تحديه الصارخ للآخر من زمن الحاضر إلى الاستقبال ، أما النسب الأخرى فكلها قد أحصيت داخل الجمل الشرطية ، وحينها لم تعبر عن المستقبل في علاقة فلسفية ، الأمر الذي يشجع على القول بأن هناك غيابا تاما للمستقبل وهذا ما ينسجم مع طبائع الشخصية اللذائنية ، كما هو شأن صاحب المعلقة .

وهكذا تتفاعل معطيات الشخصية الأدبية ومظاهر التضافر الأسلوبي من معطيات التحليل الصرفي بشكل يجعل الحديث عن وحدة عضوية في القصيدة الجاهلية مشروعا ممكنا.

4. المعاني الوظيفية لمبنى الحرف :

1.4. تمهيد .

الحرف مبنى تقسيمي ثالث للكلم في الاعتبار التقسيمي القديم .

كلامنا لفظ مفيد كاستقم اسم وفعل ثم حرف الكلم (1)

ويسمى بالأداة كذلك ، ليس له صيغة صرفية محددة ، بل تحكمه بنية شكلية ثابتة لها معنى خاص في السياق اللغوي ، وتختلف مباني الحروف باعتبار المبنى إلى حروف أحادية كاللام المفردة ، وثنائية :كمن وعن .. وأخرى ثلاثية كعلى ...إلخ .

وفي نظام اللغة " تكون الأداة هي العنصر الرابط بين أجزاء الجملة كلها " (2) ، وهي وظيفة نحوية تشترك فيها جميع الأدوات " تتضح بالتعبير عن المعنى النحوي العام للجمل والأساليب " (3) ، وهي التعليق ، " والتعليق بالأداة أشهر أنواع التعليق في اللغة العربية الفصحى .. " (4) .

أما على المستوى الصرفي الوظيفي لها فإننا نجد لكل مبنى حرفي معنى أساسيا ينهض به ثم تتداول عليه المعاني باختلاف السياقات ، في إطار تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد .

إن المعاني الأساسية للحروف تتيح لنا فرصة التعمق في معرفة الدلالات الأدبية لها كلما قوبلت بدلالات المباني الأخرى ، التي تشكل معها وحدة متجانسة من العلامات اللسانية تؤسس لخطاب من نوع ما . وهذه الجهة التحليلية أستخلصها من الوظيفة النحوية ، حيث يأتي الحرف " لمعنى ليس باسم ولا فعل " (5) ولكن علاقة بينهما .

على أن إمكانية تطبيق هذه الصورة النحوية على الجانب الصرفي أمر وارد ومبرر أدبيا ، وهذا الذي أريد أن أصل إليه في آخر مقابلة بين نسب الاسم والفعل والحرف في النص .

في دراستي للحروف ركزت على ستة حروف من مجموع ثلاثة وعشرين حرفا على الأقل ، استوعب التحليل فيها كلا من حرف الفاء ، اللام ، على ، الباء ، الكاف والواو ، أما الحروف

(1) :شرح بن عقيل على الألفية.ص 08.

(2) : تمام حسان .اللغة العربية معناها ومبناها .ص125.

(3) : فاضل الساقى .أقسام الكلام العربي .ص262.

(4) : تمام حسان .اللغة العربية معناها ومبناها .ص123.

(5) : سيبويه .الكتاب .ج1ص12.

الأخرى فأقصىتها وعيا من حيز التحليل ، باعتبارها عناصر لا تشكل ظاهرة أسلوبية يعتمد عليها في التأسيس لمقولة توازن النص . وفيما يلي إحصاء عام لمعاني الحروف الستة المذكورة سابقا كما هو مبين مؤويا في الجدول التالي:

جدول رقم (9) توزيع مبنى الحرف باعتبار المعاني

حرف الفاء	حرف اللام	حرف على	حرف الباء	حرف الكاف	حرف الواو
06.75 %	08.43 %	28.28 %	13.92 %	13.92 %	28.53 %

2.4. حرف الفاء :

من حروف المعاني المفردة تأتي لمعان وظيفية مختلفة ، كالعطف والترتيب والتعقيب كأن يقال : " تزوج فلان فولد له . إذا لم يكن بينهما إلا مدة الحمل " (1) . كما ترد الفاء " لتؤدي وظيفة الإشعار باستئناف الكلام ، وتسمى استئنافية " (2) ، كما أن لها معاني أخرى ..

انصرف شيوخ حرف الفاء في النص إلى ثلاثة معان أساسية هي الترتيب والتعقيب والاستئناف ، بنسبة مئوية مقدرة بـ : 06.75 % من مجموع الحروف الأخرى ، ليفيد معنى الترتيب مطلقا في الشريحة الثانية .

أحلتُ عليها بالقطيع فأجذمتُ وقد خَبَّ آلُ الأمعز المُتوقِدِ
فذالتُ كما ذالتُ وليدُهُ مجلس تري ربهَا أذْيَالِ سحلِ ممدد

والعامل الجوهري من وراء هذا التوزيع يتضح بالرجوع إلى الغرض الإبلاغي للشريحة انطلاقا من وصف الترتيب عنصرا مكررا في السياقات حيث نقفُ على المساحة الوصفية التي سيطرت على مضمون الشريحة .

وبقولنا : إن هناك وصفا فإن ذلك يتطلب شيئين أساسيين هما : الموصوف والصفات ، يتخللها عنصر ثالث شكلي ينهض بمهمة ترتيب هذه الموصوفات عبر مسافة الأداء اللغوي ، والذي يرفض إيرادها جملة واحدة ، منطقيا على الأقل . فتلك صفات الناقاة إذن ، وعامل ترتيب صفاتها

(1) : ابن هشام .المغني .ج1ص183/184.

(2) : فاضل الساقى:أقسام الكلام العربي، ص:340

اقتضى معنى الترتيب . وهذا مطابق تماما لمقتضى الحال وسياق الوصف .

أما على مستوى الشريحة الثالثة فقد سيطر الاستئناف في مقابل أربع حالات مسجلة بتعادل بين معنى الترتيب والتعقيب .

فمنهن سبق العاذلات بشربة
كُميت متى ما نُعل بالماء تزيد
فمرت كهاه ذات خيف جلاله
عقيلة شيخ كالوبيل يلندد

وبالرجوع إلى مضمون الشريحة ، تتكشف المطابقة الأسلوبية لمحتوى الشريحة عبر اختيار معنى الاستئناف . ذلك أن " طرفه " يفصح عن مواقف شتى في هذه الشريحة ، ويشيع قيما فلسفية يريد لها أن تستمر في الوقت الذي ينعى عليه قومه أفعاله ويتجافونه ..

إلى أن تحامنتني العشيرة كلتها وأفردت أفراد البعير المعبد
حتى إذا بلغ ما بلغ من مظاهر العبث والاستهتار ، وظنّ أنه سيرجع إلى صوابه ، عاد مسرعا إليه ، كاسرا كل الاحتمالات ، مستأنفا مسافة :

ولازال تشرابي الخمر ولذتي وبيعي وإنفاقي طريقي ومُتدي

وقد انعكس هذا السلوك على منظومة الاستئناف في مستوى شكل النص اللغوي ، حيث إنك -قارئا للنص - لا تكاد تحس انتهاء الجملة في سياق التحدي والتقريب حتى تلاحقك مطالع الأخرى باستئناف مشحون بنفس جديد ، وهذه مطابقة أخرى لمعنى الاستئناف ومقتضى السياق ، تكشف عن قدرة فنية وبناء أسلوبية لتوازن النص .

3.4. حرف اللام :

من حروف المعاني المفردة تأتي عموما لمعنى الاختصاص أو التخصيص ، وقد أحصى لها صاحب المغني اثنين وعشرين معنى " كالتمليك نحو : وهبت لزيد ديناراً ، والتعليل نحو قوله تعالى : لإيلاف قريش (الآية 1 من سورة قريش) ، والتوكيد نحو قوله تعالى : لم يكن الله ليغفر لهم (الآية 167 من سورة النساء)" (1) .

وعلى مستوى النص كان شيوع حرف اللام كبيرا نوعا ما ، حيث بلغت نسبته 08.43 % من

(1) : ابن هشام . المغني . ج1 ص234/236.

مجموع نسب الحروف الأخرى ، تداولت عليه معاني الاختصاص والتوكيد والتبليغ والظرفية .
وقد هيمن معنى الاختصاص والتخصيص على مستوى الشريحة الأولى والثانية ، ومن ذلك مطلع القصيدة :

لخولة أطلال ببرقة نهمـدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

لها فخذان أكمل النَّحْضُ فيهما كأنهما بابا مُنيف مُمرّدِ

فيما خرجت حالتان للتعليل وأخرى للظرفية في الشريحة الثانية :

جَنُوحِ دِفَاقٍ عـنْدلُ ثم أفرعتْ لها كتفاها في مُعالَى مُصعدِ

وصادقتا سمع التوجّس للسرى لهمس خفيّ أو لصوتِ مُنندِ

أما دلالة شيوع معنى الاختصاص في الشريحة الأولى والثانية ، بوصفه عنصرا مكررا ، فمرده أيضا إلى مضمونها ، الذي يفسر انسجام معنى الاختصاص مع غرض الوصف ، وذلك بحشد الصفات الذاتية للموصوف اختصاصا له بها . أما على مستوى الشريحة الثالثة فقد تراجعت نسبة الاختصاص والتخصيص بشكل هائل لتحتفظ بحالتين منهما في هذه الوحدة الشعرية :

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتا ولم تضرب له وقت موعدِ

كما سجلت حالة واحدة للتعليل :

إذا نحن قلنا أسمعينا أنبرت لنا على رسلها مطروفة لم تشدّدِ

أما قوله :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فهو تبليغ بمنزلة قلت لك .. وقررت لك ، يريد " طرفة " من وراءه توكيد قيمة يعتقدها ، إن حضرا أو مستقبلا ، وعليه يمكن إضافته إلى معنى التوكيد ، وهو المعنى الذي هيمن على الشريحة الثالثة ، ليعطي لها دعما في انسجام الشكل والمضمون .

يهيب " طرفة " في هذه الشريحة بفلسفة يؤمن بها إيمانا صادقا ، ويبحث لها عن مبررات ووسائل إقناع لضمان بقائها ، ودحض ما يهددها لدى الآخر الملحد فيها ، ما يفسر شيوع معنى التوكيد لدفع الغرابة عنها ، وهذه مناسبة لطيفة يضيفها حرف اللام في تطابق الشكل مع المضمون .

4.4. حرف على :

حرف من حروف المعاني الثلاثية ، يأتي لمعان وظيفية متعددة ، ذكر لها صاحب المغني تسعة معان ، الاستعلاء وهو الغالب ، المصاحبة والظرفية " (1) ... إلخ .

أما على مستوى النص فقد عرفت شرائحه الثلاث حضورا كبيرا لمعاني هذا الحرف ، اختلفت تبعا لاختلاف الأغراض الشعرية هناك ، بنسبة مقدرة بـ : 28.28 % من مجموع الحروف الأخرى . وقد سيطر معنى الاستعلاء على الشريحة الأولى والثانية ، باعتبارهما نسبة واحدة كما أشرت من قبل ، بينما تراجعت نسبة الاستعلاء في الشريحة الثالثة لتفتح المجال أمام معاني أخرى كالتعليل والمصاحبة والغاية في مثل قوله :

يلوم وما أدري علام يلومني كما لامني في الحي قرط بن معبد
ولكنّ مولاي امرؤ هو خانقي على الشكر والتسأل أو أنا مُفتدي
فظلّ الإمامُ يمتلن حوارها ويُسعى علينا بالسديفِ المُسرهدِ

وفي قوله : " يُسعى علينا بالسديفِ المُسرهدِ " ، حيث خرج الحرف إلى معنى " إلى " ، صورة بلاغية لطيفة من وراء هذا الاستعمال ، حيث نفهم أن القوم كانوا جلوسا تحت حركة دائبة للخدم ، ولو عبر بغير هذا المعنى المجازي لحرف " على " لما تملينا الصورة الحقيقية لمشهد القوم .

أما حقيقة هيمنة معنى الاستعلاء في الشريحتين الأولى والثانية ، فمرده إلى مجال الوصف وحيز حدوث الصفات ، حيث فرضت ملابسات الوصف حيزا ماديا ملموسا لاستيعاب حركة الموصوف ، وهو العامل الأساسي المتحكم في استئثار هذه الشريحة بمعنى الاستعلاء الحقيقي (الظرفي) . وكذلك الأمر بالنسبة للشريحة الأخيرة ، فإن محتوى الخطاب فيها والذي استوعب مواقف إنسانية ، ونظرات تأملية في الحياة هو الذي أسس لتداول معاني التعليل والمصاحبة ، والاستعلاء المعنوي ، ومنه نستطيع أن نتبين البعد الاختياري لهذه المعاني حسب الحاجة الإبلغية لكل شريحة . وهذا مظهر آخر لتوازن النص وائتلاف المبنى والمعنى فيه .

(1) : ابن هشام . المغني . ج1 ص164 .

5.4 حرف الباء :

من حروف المعاني المفردة تأتي لعدة معانٍ وظيفية ، ذكر لها صاحب المغني " أربعة عشر معنى منها الإلصاق : كأمسكت بزيد ، والاستعانة ، وهي الداخلة على آلة الفعل نحو : كتبت بالقلم ، والظرفية والغاية والقسم " (1)...

بلغت نسبة شيوع حرف الباء في النص 13.92 % تنافس فيها معنى الظرفية والاستعانة على مساحة الشريحة الأولى والثانية ، حيث لم تسجل إلا حالة واحدة للغاية :

وطيِّ محال كالحنيِّ خلوفه وأجرئة لزتْ بدأي مُنضدٍ

أما الشريحة الثالثة فقد تراجع فيها معنى الاستعانة والظرفية فاسحا المجال لمعني التوكيد ، الاستعلاء والمصاحبة والقسم :

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القومُ أرفدٍ

رحيبُ قطابُ الجيبِ منها رقيقة بجسّ النّدامي بضّة المُتجرّدِ

فمنهن سبق العاذلات بشربة كُميتِ متى ما تُعلّ بالماء تزيّدِ

وقربتُ بالقُربى وجدّك أنني متى يك أمر للنكيثة أشهد

أما شيوع معنى الظرفية فتفسيره كتفسير معنى الاستعلاء في تحليل معاني حرف " على " ، باعتبارهما ظرفا ، وأما معنى الاستعانة فإن الحديث عنه يعود بنا إلى ما قد قرر في الفصل الأول من أن قاعدة الشعر الجاهلي الوصفي التحدي(*) ، والتحدي في مضمونه ، لا يقوم معناه إلا بوسائل تضمن له القدرة على مجابهة الآخر (المستفز) . فالشاعر لا يكسر شوكة الحزن وقسوة الطبيعة إلا مستعينا في قوله :

وإني لأمضي الهم عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي

وهذه الناقة ليس في طوعها أن تقف جبهة للتصدي ، في وجه الخطر الخارجي إلا مستعينة بصفات خلقية ، تدفعها نحو صورة نموذجية متكاملة ، تتحطم عندها كل القوى الاستفزازية التي تهددها من خارج :

(1) : ابن هشام .المغني .ج1ص118/120/121/123.

(*) : ينظر الفصل الأول من الدراسة .ص29.

تُريَعُ إلى صوت المُهيبِ وتُنقي
بذي خُصَلِ روعات أكلفَ مُلبد
وأعلمُ مَخْرُوت من الأنفِ مارنُ
عتيق متى ترجم به الأرض تزدد
وهذا ، العامل الذي كان من وراء شيوع معنى الاستعانة في هذه الشريحة .

أما على مستوى الشريحة الثالثة ، فقد تداولت معانٍ وظيفية على هذا المبنى الحرفي نظرا لتداول السياقات المعنوية على الشريحة ، كالفخر والشكوى والحكمة ، واقتضاء كل ذلك معنى خاصا في علاقته بهذا الحرف ، وهي مناسبة أسلوبية أخرى تكشف عن بناء متين ، وتضافر أسلوبية شديد التلاحم في علاقة الشكل بالمضمون ، داخل منظومة المبنى الحرفي في النص .

6.4. حرف الكاف :

حرف من حروف المعاني المفردة ، تنهض بوظيفة معنوية عامة هي التشبيه ، وتخرج لمعان وظيفية أخرى ، كالتعليل ، في مثل قوله تعالى : " واذكروه كما هداكم " (الآية 197 من سورة البقرة) ، والتوكيد في مثل قوله تعالى : " ليس كمثله شيء " (الآية 08 من سورة الشورى) .

هذا وقد كانت نسبة شيوع حرف الكاف كبيرة في النص ، إذ قدرت إجمالا بـ : 13.92 % موزعة بنسب غير متكافئة بين الشرائح ، حيث ورد هذا الحرف في خمسة مواضع في الشريحة الأولى ، بينما صعدت نسبته في الشريحة الثانية لتصل إلى عشرين موضعا ، ثم تتراجع بعد ذلك إلى ثمانية مواضع في الشريحة الثالثة .

أما اختلاف النسبة في الشريحة الأولى عنه في الشريحة الثانية ، فتحكمه المساحة الشكلية ليس إلا ، ومن جهة أخرى يمكن اعتبارهما نسبة واحدة لاشتراكهما في الغرض الإبلاغي .

وهنا تتضح الأسس الاختيارية لهذا الحرف في إطار التشبيه البلاغي ، علما بأن التشبيه كان مطلقا في النص ، ولم يخرج عنه الحرف إلى معاني أخرى . ولأن عرض الصفات غالبا ما يكون عن طريق المقابلة بينها وبين عناصر أخرى ، متجانسة أو غير متجانسة ، حسية أو معنوية ، فقد كان عاملا جوهريا وراء هذا الشيوع لحرف الكاف في معناه التشبيهي ، ولهذا كان التشبيه واحدة من الأدوات الفنية في العملية الإبداعية القائمة على الخيال ، وهي شائعة بصورة هائلة في القصيدة الجاهلية ، وعليه كان التشبيه مطلبا أسلوبيا اقتضاه غرض الوصف . أما على مستوى الشريحة الثالثة فلا يختلف فيه الأمر كثيرا عن الأولى من زاوية كون التشبيه بلاغيا فنيا تصويريا في عملية الخيال الشعري ، أما في الثالثة فهو تشبيه بارد في أغلب الأحيان لا يتجاوز معنى التمثيل العادي :

ولا تجعليني كامرئٍ ليس همّة
كهمي ولا يُغني غنائِي ومَشهدي

وإلى حد الآن ، ليس هناك مظهر لاختلال توازن النص من ناحية اختيار الشكل للمضمون ، المبني للمعنى ، ما يجعل الخوض في مقولات الانتحال الكلي للنص مستنقعا فكريا ، قد تغرق فيه منتحرة كل الآليات النقدية والفكرية .

7.4. حرف الواو :

حرف من حروف المعاني المفردة ، تأتي لمعان وظيفية أولها العطف ، وتحت هذه الوظيفة العامة تقوم بوظائف معنوية كثيرة ، كأن تكون لمعنى " أو " في التقسيم أو التخيير .. وقد تأتي لتؤدي وظيفة الإشعار باستئناف الكلام وتسمى الواو الاستئنافية " (1) .

وعلى مستوى النص الذي بين أيدينا نجد أن حرف الواو قد استأثر بأعلى نسبة له مقدرة بـ 28.53% دون باقي الحروف الأخرى في مواضع تكاد تتكافؤ بين الشريحة الأولى والثانية باعتبارهما نسبة واحدة ، وبين الشريحة الثالثة التي ارتفع فيها نسبة شيوع هذا الحرف .

أما من الناحية الدلالية فقد هيمن معنى العطف والاستئناف على مجموع الشرائح ، باستثناء إحدى عشرة حالة ، خرج فيها حرف الواو إلى معنى الاعتراض والحال والتكثير والقسم والتخيير والمعية :

وجاشت إليه النفسُ خوفاً وخاله	مُصابا ولو أمسى على غير مرصدٍ
أحلت عليها بالقطيع فأجدمتُ	وقد خبَّ آلُ الأُمعز المُتوقدِ
ولست بحلال التلاع مخافة	ولكن متى يسترفدِ القومُ أرفدِ
نداماي بيضُ كالنجوم وقَينُهُ	تروح علينا بين بُردٍ ومَجسدِ
ولولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى	وجدك لم أحفل متى قام عُودِي
بلا حدث أحدثهُ وكُمُحدثٍ	هجائي وقذفي بالشكاة ومُطردي
فذرني وخلقِي إنني لك شاكر	ولو حلّ بيتي نائيا عند ضَرغَدِ

(1) : فاضل الساقى . أقسام الكلام العربي . ص353.

وقد كان معنى العطف الأكثر شيوعاً خاصة على مستوى الشريحة الأولى ، تتخلله من حين لآخر حالات معدودة للاستئناف .

ويكشف معنى العطف هنا عن قيمة أسلوبية تنضاف إلى مجموع القيم الأخرى ، التي أسهمت فيها باقي الحروف في توازن النص ، حيث كان العطف مطلباً اقتضاه سياق الوصف ، لجمع الصفات المتفرقة ، والربط بين أجزائها ربطاً يتجه بها نحو الصورة النهائية المتكاملة للموصوف ، إلا أن عنصر الجمع بين الصفات لم يخضع لمبدأ الترتيب المنطقي وهو ما يفسر ورود حالات للاستئناف ، تحدث قطعاً ما في منظومة العطف ، لأن الشاعر كان كثير الانتقال من وصف الناقة ملتبسة به ، إلى وصفها ملتبسة بالطبيعة :

وأعلم مَخْرُوتٍ مِنَ الْأَنْفِ مَارُنُ عَتِيقٌ مَتَى تَرَجَمَ بِهِ الْأَرْضُ تَزْدَدُ
وَإِنْ شِنْتُ لَمْ تَرَقُلْ وَإِنْ شِنْتُ أَرَقَلْتُ مَخَافَةٌ مَلُويٍ مِنَ الْقَدِّ مَحْصَدُ

وقد تعكس هذه العلاقة الأسلوبية النمط العقلي للشخصية البدوية ، التي لا تفرق بين الحدود العلمية للأشياء ، ولا تعرف نمطاً فكرياً مقنناً ، فهي شغوفة بالتجميع والتكديس أكثر من الترتيب والتصنيف . هذا والقول نفسه ينطبق على الشريحة الثالثة – وإن انصرف حرف الواو هناك إلى معاني أخرى اقتضتها السياقات الإبلافية - .

وهكذا تتلاحم معطيات تحليل المبنى الحرفي في المعلقة مؤسسة لتضافر أسلوبية محكم قائم على مبدأ اختيار أنسب المباني لأنسب المعاني ، ما يفسر وجود وحدة بنيوية منسجمة ينتصر فيها الشكل لحساب المضمون .. ليس العكس .

8.4. بين الاسم والفعل والحرف :

دلالة الاسم عموما تنحصر في التسمية ، والتسمية قيمة معنوية ثابتة للمسمى، لا تفارقه تداولاً أو تجدداً . أما الفعل فيدل على الحدث والزمن ، ودلالته على الزمن دلالة غير قارة وإنما تقتضي الحدوث وتجدد الحدوث .

فالمقابلة بين هذا وذاك ، هي مقابلة بين ثابت ومتغير ، ولا شك أن النص قد حفل بقيم ثابتة وأخرى متغيرة ، عبّر فيها الاسم عن الجانب الثابت ، بينما عبر الفعل عن المتغير منها ، وبين الثابت والمتغير علاقة ملابسة ، أوكلت مهمة التعبير عنها للحرف عبر معان مختلفة ، كالعطف والترتيب والاستئناف والتشبيه والاعتراض والمصاحبة والغاية .. لتكشف هذه المعاني عن فهم خاص للعلاقة القائمة بين الثابت والمتغير ، كمعطين فلسفيين ، كما أسست لرؤية فنية خاصة بالشاعر في مستوى تحليله لعلاقة الثابت بالمتغير ، وقد عبّر تعدد معاني الحروف في هذا السياق عن طبيعة العلاقة بينهما ، إذ هي علاقة شفاقة غير واضحة ولا ثابتة ، وليس الإنسان إلا وحدة فكرية دائمة التحليل لمعطيات الثابت والمتغير في مطلق الوجود .

8.4. خاتمة الفصل :

بعد العملية الإحصائية الوصفية ، التي قمت بها في هذا الفصل لمختلف المباني الصرفية باختلاف أنواعها ودلالاتها ، وبعد المقاربة التوصيفية لجماليات النص من الناحية الأسلوبية والمعاني ، والدلالات النفسية التي تستتر وراء التوظيف البنيوي لهذه الأشكال ، توصلت إلى مجموعة من الحقائق حول بناء النص وقيمه الإنسانية ، أفرزتها معطيات التحليل الصرفي في انتظار ما ستسفر عنه نتائج التحليل الخاصة بالأبنية التركيبية من الفصل الموالي، سأحاول أن أجملها فيما يلي :

في جميع المقابلات التي قمت بها بين النسب المختلفة، كنت أحاول في كل مرة مساءلة النسبة للكشف عن المعنى الثوري لها الذي ينسجم مع الطبيعة الإبداعية للنص الأدبي، أو البعد الاختياري الأسلوبي الذي يتطابق فيه الشكل مع المضمون، ويكون كل منهما حجة للآخر، حيث أفرز التحليل مجموعة من النسب البنوية على مستوى المبنى الحرفي، دلت على تضافر أسلوبية داخل بناء محكم، يؤكد للنص عنصر التوازن فيه، يمكن الحكم من خلال ذلك بوجود بنية شكلية منسجمة العناصر أنتجت قوى تعبيرية مفرغة من ذات واحدة ، وهو ما في معطيات التحليل الأسلوبي لمبنى الحرف وتوزيع الفعل على الشرائح النصية ، من حيث الدلالة على الحدث .

ومجموعة أخرى من النسب ، كشفت عن مضامين عاطفية ، وقيم اجتماعية وحضارية ، نوردها فيما يلي :

لقد عبرت النسبة العالية لاسم الجثة عن النزعة المادية المنغمسة في ظاهر الأشياء ، فيما عبرت قلة اسم المعنى عن البساطة العقلية والاجتماعية .

وفي المقابلة بين الأسماء الاشتقاقية ، عبرت نسبة أسماء الفاعلين عن النزعة الثورية التحريرية ، بينما عبرت نسبة أسماء المفعولين عن الحالة الانهزامية ومعاني الإحباط الروحي .

فيما قدمت النسبة المنخفضة لاسم الآلة وثيقة تاريخية عن تدنى المستوى الحضاري ، والتلاشي العمراني في البيئة الصحراوية .

أما في المقابلة بين الجامد والمشتق ، فقد دلت النسبة العالية للجامد على الانغلاق النفسي ، والجمود الاجتماعي ، فيما عبرت نسبة المشتق عن محاولة خلخلة القيم المألوفة الثابتة بالعادة ، وخلق قيم بديلة عنها بالثورة ، وهذا ينضاف إلى المعاني الثورية في النص .

وفي آخر مقابلة لأسماء ، وقفت بنا النسبة القليلة للاسم المعرف على مشارف المعلوم الثابت من فلسفة " طرفة " ، بينما هوّمت بنا النسبة العالية للاسم المنكر في فضاءات الشك واللايقين ،

اللاحدود في فلسفة الصراع الذي يحياه الشاعر ، وهو ما يعضد قول الأستاذ حنا الفاخوري في كتابه " الجامع " : " إن آراء طرفة ثمرة تأمل بعيد المرامي " .

كما دلت النسبتان العاليتان للمفرد والمذكر على تعاضم النزعة الفردية في الذات العربية ، وتلاشي حضور المرأة في المشهد الاجتماعي .

أما على مستوى المقابلة الأخيرة للفعل من حيث الدلالة على الزمن ، فقد لوحظ أن علاقة الشاعر بالزمن عبثية ، غير متزنة ، وتقرر أن هناك حضورا لمحوريين زمنيين ، ماض للذكرى - وهو الأكثر شيوعا - ، وحاضر للذة ، وإهمال تام للمستقبل .

وكل هذه المعاني قد أعطت صورة بريئة عن تقاسيم الشخصية الأدبية للنص ، وليست بالضرورة شخصية الشاعر .

وفي آخر بحث استغرق معاني المباني الحرفية ، عزز التحليل الأسلوبي - الذي يبحث في الأسس الاختيارية لتوظيف معاني الحروف - فكرة وحدة النص وانسجام معانيه ، واتساق البنى التكوينية فيه . الأمر الذي دل بهذا الاعتبار على صحة إضافة النص لذات واحدة واستبعاد التشارك فيه من الناحية المبدئية .

الفصل الثالث

1. المعاني الوظيفية للبنى التركيبية :

. تمهيد :

اللغة الإنسانية التي يتم بها التواصل فيما بين الناس ظاهرة كونية اجتماعية وهي " شئى مكتسب ذو طبيعة اصطلاحية " (1) مادته صوت ، ينقذف مع النفس الخارج من الرئتين أثناء عملية التنفس ويختلف عن هذا الأخير بكونه فعلا إراديا تابعا لاختيار المتكلم ، وقدما حُدّت اللغة بأنها " أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم " (2) في التعاون والتنازع والتعاقد والتأثير وجميع المصالح التي تجري إلى مستقر واحد في جميع الأزمنة والأمكنة هو " صلاح معاش الناس " (3) ، أما الجانب الكسبي في اللغة فإنها وإن كانت ترجع إلى القدرة على عملية التصويت الفطرية إلا أنها في هذا الجانب ليست عبثية متروكة لتصرف الأفراد الناطقين في المستوى الفردي لكل متكلم وإنما هي خاضعة لنظام يتعارفه أبنائها ، ويترجون عليه وبه فقط تتم عملية التواصل ، بدء من رمز الألفاظ للأشياء في المستوى الأول لتركيب الصوت إلى أبنية الكلمات الدالة على معان مختلفة ، إلى القوانين التي يتم بها ربط الأبنية في المستوى التركيبي للألفاظ وانتهاء بالجهاز العام للدلالة التي عليها مدار اللغة والتحليل اللغوي .

إن الملكة اللغوية الإنسانية بقدر ما هي متشابهة في الجوهر (الصوت والمعنى) بقدر ما هي مختلفة في أعراضه المتمثلة في اختلاف هيئات التصويت ومقاديره وكيفيات تركيب الوحدات الدلالية على نسق يحفظ لكل لسان تميزه وتفاضله في الألسنة البشرية . والفرد الناطق بلغة الجماعة يتعين عليه أن يذعن لنظام اللغة وإلا كان كلامه هُراء داخل نطاق الجماعة ، لأن اللغة في المتعارف كلها نظام وأساس ذلك النظام كله بعد معرفة الأصوات المستعملة والكلمات المتشكلة منها والمحقة للمنفعة الفردية ، هو معرفة قوانين دمج الوحدات الصرفية في علاقات خطية تسمى في الأغلب تركيبا أو نحوا أو نظاما ، وأساس التحليل في جميع اللغات يتخذ من هذه المستويات الأربعة منطلقا لتأسيس النظرية اللغوية في التحليل .

De Saussure ; cours de linguistique générale p 34... tandis que la langue est : (1)

une chose acquise et conventionnelle

(2) : ابن جني . الخصائص .ص34 .

(3) : ابن المقفع .الأدب الصغير والأدب الكبير .ص15 .

وإذا كان البحث في الفصل السابق من الدراسة قد تركز على المعاني الوظيفية للوحدات الصرفية فإنه لا يعتزم في هذا الفصل مفارقة النظرة التحليلية الأولى إلا في جانب النظر في معاني العلاقات الناتجة بين هذه الوحدات الدالة أثناء عملية التركيب لأن " المعنى على مستوى النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي هو معنى وظيفي ، أي أن ما يسمى المعنى على هذا المستوى هو في الواقع وظيفة المبنى التحليلي " (1) ولما " كان جميع النحو في الرفع والنصب والجر والجزم " (2) متأثراً بطريقة وضع الوحدات الدالة " الوضع الذي يقتضيه علم النحو " (3) فإن البحث هنا يتوجه إلى تحليل المعاني النحوية بوصفها " وظائف للمباني التي يتكون منها السياق الأكبر " (4) والذي كشفنا عن جزء منه في الفصل السابق .

والبحث في وظائف العلاقات التركيبية يقودنا إلى تحديد شكل مفهوم التركيب الذي يشتغل عليه البحث في هذه الجهة لأنه ليس مفيداً من الناحية المنهجية الخوض في عملية التحليل قبل تعيين موقف صريح من الخلاف الحاصل في مفهوم التركيب لدى النحاة .

لم يفرق النحاة بين ثلاثة مصطلحات ، كثيراً ما استخدمت مترادفات في مصنفاتهم هي : الكلام والجملة والقول (*) إلا عند المتأخرين منهم ، ولم يختلفوا على حد الكلام كاختلافهم على حد الجملة والقول ، وكان خلافهم في كل ذلك يدور على أمرين هما : عدد العناصر التركيبية في النموذج الواحد ، وشرط الإفادة ، وهذا الأخير في الأول ، وأما الأول ففي الجملة والقول . ولقد رأيت أن أقطع خلافهم بما لا خلاف فيه بيننا وبينهم ، فأجعل اعتمادي على الكلام في تحديد شكل التركيب الذي يتبناه البحث ، أي الكلام الذي اشترطوا فيه التركيب والإفادة المعنوية فقالوا :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم اسم وفعل ثم حرف الكلم (*)

(1) : تمام حسان . اللغة العربية معناها ومبناها .ص108.

(2) : الخليل بن أحمد الفراهيدي . الجمل في المحو .ص63.

(3) : عبد القاهر الجرجاني . دلائل الإعجاز في علم المعاني . ص80.

(4) : تمام حسان . اللغة العربية معناها ومبناها .ص179.

(*) : للأستاذ الشريف ميهوبي إفاضة جيدة في هذا الموضوع ، مقاله بمجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تصدرها جامعة باتنة عدد خاص . ديسمبر 2001 بعنوان : الجملة العربية مفهومها وحدود بنائها في نظر النحاة القدامى .

(*) : قال السيوطي في الشرح : (كلامنا) أي معاصر النحويين (لفظ) أي صوت معتمد على مقطع ، فخرج به ما ليس بلفظ كالإشارة والخط ، وعبر به دون القول لإطلاقه على الرأي والاعتقاد ، وعكس في الكافية لأن القول جنس قريب لعدم إطلاقه على

والتركيب والإفادة هما اللذان قصدهما بن مالك في قوله (كاستقم) ، فاستقم كلام مركب من فعل أمر وفاعل مستتر مقدر (أنت) (1) ، وزادوا على ذلك توضيحا فقالوا : الكلام هو اللفظ المركب المفيد الدال بالوضع (2) .

وأما اشتراطهم التركيب والإفادة ، فلتحقيق علاقات الإسناد التي توجد الإعراب الذي عليه مدار النحو عندهم ، " والإعراب لا يوجد إلا في التركيب الإسنادي الذي لا يوجد إلا في الكلام ، والكلام إنما يتركب من كلمتين نحو : زيد قائم ، وإما من فعل واسم نحو : ضرب زيد ، ويسمى كلاما وجملة " (3) . فلا بد إذن من إفادة تكون مع التركيب تفهم معنى يحسن السكوت عليه ، ولهذا أخرجت في جزء المعاني الوظيفية للتراكيب الإسنادية جملة الشرط وجوابه واعتبرتهما جملة واحدة ، كما أخرجت جملة الصلة للاعتبار المذكور وهو شرط الإفادة الذاتية ، منتهجا في ذلك "المنهج التركيبي الذي سار عليه النحاة القدامى فقسموا على ضوئه الجملة إلى قسمين اسمية وفعلية" (4) ، وذلك باعتبار العنصر الصرفي الذي له صدارة الجملة فتكون الجملة اسمية إذا كان صدرها اسما ، وفعلية إذا صدرها فعل ، وأنبه إلى أنني ربما أثبت الجملة الواحدة مرتين في قائمتين مختلفتين وذلك عندما تكون جملة مركبة (كبرى) ، كأن تكون جملة اسمية خبرها أو مبتدؤها جملة فعلية ، فأثبت جزءها الوارد جملة فعلية مرة أخرى في قائمة الجملة الفعلية ، أما في الجملة الفعلية نفسها فإني أثبت جزءها الوارد جملة فعلية مرة أخرى كجملة مستقلة ، إلا أن يكون جملة اسمية فأعيد ثبتها ضمن جمل القائمة الاسمية . وذلك لأن الغرض من التحليل في هذا المستوى ليس معرفة المعاني النحوية الناشئة من العلاقات الإسنادية وإنما المقصود

المهمل بخلاف اللفظ . (مفيد) أي : مفهم معنى يحسن السكوت عليه كما قاله في شرح الكافية ، والمراد سكوت المتكلم وقيل السامع وقيل كليهما وخرج به ما لا يفيد كإن قام ، مثلا ، واستثنى منه في شرح التسهيل نقلا عن سيبويه وغيره ، مفيد ما لا يجله نحو النار حارة ، فليس بكلام ، ولم يصرح باشتراط كونه مركبا كما فعل الجزولي كغيره للاستغناء عنه ، إذ ليس لنا لفظ مفيد وهو غير مركب ، وأشار إلى اشتراط كونه موضوعا أي مقصودا ليخرج ما ينطق به النائم والساهي ونحوهما بقوله (استقم) إذ من عادته إعطاء الحكم بالمثل ، وقيد في التسهيل المقصود بكونه لذاته ليخرج المقصود لغيره كجملة الصلة والجزاء . انتهى من البهجة المرضية في شرح الألفية . ص 69 .

(1) : صبيح التميمي . هداية السالك إلى ألفية بن مالك . ص 9 .

(2) : حاشية الصبان على شرح الأشموني ص 37 .

(3) : محمد بن عبد العزيز الأردبيلي . شرح الأنموذج . ص 40/39 .

(4) : خليل أحمد عميرة . المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي . ص 106 .

هو الوصول إلى تحديد نوع بنية النص ، باعتبار الاسمىة والفعلىة والعنصر الغالب منهما على بنية النص ، ودلالات ذلك وتبريره على المستوى الأدبى للنص ، ويتم ذلك بعملية إحصائية بحتة، تضع الجمل الاسمىة فى قائمة ، والجمل الفعلىة فى قائمة أخرى .

وقد أثبتت الجملة المنسوخة ضمن الجمل الاسمىة لاعتبارين أساسين هما : الخلاف الحاصل بينهم فى اعتبار الجملة المنسوخة اسمىة أو فعلىة ، والثانى اعتقادى أنها اسمىة وأن الأدوات الناسخة التى أسموها أفعالا أو حروفا مشبهة بالفعل تفتقر إلى الدلالة على الحدث التى فى الفعل ، والتحليل إنما يتوجه إلى رصد هذه الدلالة أكثر ، إذ لا دلالة حقىة فى هذه المبانى على الفعلىة (الحدث) .

ثم أحدد الأنماط الأصلية والفرعية فى كل قائمة . والأنماط الأصلية لجملة ما هى النوع من الجملة يأتي ترتيب العناصر فيها على أصله غير مُقدم عنصر فيها على آخر ولا محذوف ، أما الأنماط الفرعية فهى كل جملة خرجت عناصرها المبناوية على الأصل المحفوظ لها فى النظام ، فحدث فيها لعنصر ما تقديم أو تأخير لأغراض بلاغىة مفهومة من مبنى السياق الأكبر .. وأما معانيها الوظيفية فىتم تحديدها عن طريق تأويل المعانى الوظيفية التى تأتي مع علاقات الإسناد الرئىسية والثانوية (*) ، بعد رصد نسبها فى قوائم ، وهى : علاقات الإسناد ، التخصىص ، التعدية ، التبعية والغائبة إلخ ، وإذا كان إمكان الكشف عنها من أصعب القرائن فإن تأويل معانيها بما ينسجم مع الأبعاد الثورية للنص ، أمر أشد صعوبة " لأنها قرينة يُحتاجُ للكشف عنها إلى تأمل ، وأن التأمل فيها يقود فى الأغلب إلى متاهات الأفكار الظنىة " (1) ، إلا أن الاعتماد فى تأويل معانى هذه التراكىب على مقولات لغوىة ثابتة نسبيا ، كفىل بأن يخفف من وعت الوقوع فى مثل هذه الأفكار الظنىة التى تذهب بموضوعية التحليل ، وأعتقد أن طبيعة النص وحدها كافىة لتبرير هذا التأويل بوصفه نسا فنيا تأثيريا ، يفرض علينا أن نتعامل معه بخصوصية فيما يتعلق بشكل التعاطى مع نتائج تحليل المبانى كما تم التعامل معها فى الفصل السابق . وقبل الشروع فى عملية الإحصاء

(*) : علاقات الإسناد الرئىسية هى العلاقات التى تتم بين العُمد ، أما علاقات الإسناد الثانوية فهى العلاقات التى تتم بين الفضلات وعمدها .

(1) : تمام حسان . اللغة العربىة معناها ومبناها . ص180 .

أذكر أن عملية الإحصاء الخاصة بمعانى بنى التراكىب الإسنادية تكون على الشكل التالى :

- رصد نسبتي الجملة الاسمية والفعلية وتحديد دلالاتها .
- رصد نسبتي الأنماط الأصلية والأنماط الفرعية في الجملة الاسمية والجملة الفعلية وتحديد دلالاتها .
- رصد نسبتي التراكيب الإسنادية الرئيسية والثانوية ، وتحديد مدلولاتها ، أي جمل اللزوم وجمل التعدية .
- رصد نسب معاني التراكيب الإسنادية الرئيسية والثانوية ، وتحديد مدلولاتها ، وهذا أوان الشروع في عملية الفرز .

2.1 . المعاني الوظيفية لمباني الجملة الاسمية والفعلية :

بعد العملية الإحصائية لكل من الجملة الاسمية والفعلية في النص ، تبين أن الجملة الفعلية قد استأثرت بمساحة النص بنسبة عالية ، قاربت ثلثي المبنى الجملي العام للنص ، حيث بلغ عددها خمسة وستين ومائة جملة من مجموع تسع وأربعين ومائتي جملة ، لتحفظ الجملة الاسمية لنفسها بعدد قدره أربعة وثمانون جملة اسمية كما هو مبين في القائمة التجريدية لكل قسم منها :

1 . القائمة التجريدية للجملة الاسمية :

... جمالية وجناء كأنها سفنجة كأن جناحي مضرحي تكنفا لها فخذان كأنهما بابا منيف ممرد وطي محال كالحني خلوفه وأجرنة لزت بدأي منضد كأن كناسي ضالة يكنفانها ... كقنطرة الرومي ... صهابية العثنون	لخولة أطلال ببرقة تهمد كأن خدوج المالكية غدوة خلايا سفين عدولية أو من سفين بن يامن وفي الحي أحوى خذول كأن منورا تخلل حر الرمل ووجه كأن الشمس حلت رداءها عليه وإني لأمضي الهم ... أمون كألواح الأران كأنه ظهر بوجد
أنت مخلدي كنت لا تستطيع	... موجدة القرى ... بعيدة وخذ الرجل

<p>ولولا ثلاث ... هن من عيشة الفتى منهن سبق العاذلات بشربة وكرّي إذا نادى المضاف وتقصير يوم الدّجن الدّجن مُعجب كأن البرين والدماليج علقت كريم يروّي نفسه أينا الصدي عليهما صفائح صمّ والدّهر ينفد لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى ... لكالطول المرخى ... وثنياه باليد كأنا وضعناه أنني نشدت كان مولاي امرأ لكن مولاي امرؤ هو خانقي ظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة إنني لك شاكر كنت قيس بن خالد</p>	<p>... مواراة اليد ... جنوح دفاق كأن علوب النسع في دأياتها مواردُ كأنها بنائق غرّ وأتلع نهّاض كسكان بوصيّ وجمجمة مثل العلاة وعى الملتقى منها إلى حرف مبرد وحد كقرطاس الشامي ومشفر كسبت اليماني قدّه لم يُجرّد عينان كالماويتين استكنتا ... طحوران عوار القذى ... وصادقتا سمع التوجس للسرى ... مؤللتان وأروع نبّاض أخذ مُلملم وأعلم مَخروت من الأنف مارنُ من فتى أنني عنيت ولست بحلال التلاع نداماي بيض وقينة تروح علينا رحيب قطاب الجيب منها ومازال تشرابي الخمور</p>
<p>إنما نفعها له أنا أهله ليس همّه كهميّ</p>	<p>كنت عمرو بن مرثد أصبحت ذا مال أنا الرجل الضرب</p>

<p>وَبَرَكَ هَجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي أَلَسْتُ تَرَى إِنَّمَا نَفَعَهَا لَهُ مَاذَا تَرُونَ</p>	<p>كُنْتُ وَغَلَا فِي الرِّجَالِ لِعَمْرِكَ مَا أَمْرِي عَلَيَّ بِغَمَّةٍ وَأَصْفَرَ مَضْبُوحٌ قَدْ نَثَرْتُ حِوَارَهُ</p>
---	--

القائمة التجريدية للجملة الفعلية :

<p>تَلُوحُ كِبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ ... وَقُوفَا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى يَجُورُ بِهَا المَلَاحُ طُورَا يَهْتَدِي يَشُقُّ حُبَابَ المَاءِ خِيزُومَهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ المَفَايِلَ بِاليَدِ يَنْفِضُ المُرْدَ تَرَاعَى رَبْرَبًا بِخَمِيلَةٍ تَتَاوَلُ أَطْرَافَ البَرِيرِ تَرْتَدِي تَبْسِمُ عَنِ أَلْمَى تَخْلَلُ حَرَّ الرَّمْلِ سَقَنَهُ إِيَاةَ الشَّمْسِ إِلَّا لثَاتِهِ أَسْفَ لَمْ تَكْدُمِ</p>	<p>حَلَّتْ رَدَاءَهَا لَمْ يَتَخَدَّدْ أَمْضَى الهِمِّ تَرُوحُ تَعْتَدِي نَصَأَتْهَا عَلَيَّ لِاحِبِّ تَرْدِي تَبَارِي عَتَاقَا نَاجِيَاتِ أَتَبَعْتُ وَظِيْفَا وَظِيْفَا تَرَبَعْتُ القَفِينِ بِالشُّوْلِ تَرْتَعِي حَدَائِقَ مَوْلَى الأَسْرَةِ تَرِيحُ إِلَى صَوْتِ المَهْيَبِ تَتَّقِي بَذِي خِصْلَ رُوعَاتِ أَكْلَفِ تَكْنِفَا خَفَافِيهِ ... فَطُورَا بِهِ خَلْفَ الزَّمِيلِ ... تَارَةً عَلَيَّ حَشْفَ كَالشَّنِّ</p>
---	--

<p>أَكْمَلُ النَحْضَ فِيهِمَا لَزَّتْ بِدَائِي مَنْضَدٌ يَكْنِفَانَهَا</p>	<p>خَلَّتْ أَنَّنِي عَنِيَّتِ لَمْ أَكْسَلِ لَمْ أَتَبَلَدِ</p>
--	---

أحلت عليها بالقطيع فأجذمت خب آل الأمعز المتوقد فذالت ذالت وليدة مجلس تري ربهأ أذيال سحل ممدّد متى يسترفد القوم أرفد إن تبغني في حلقة القوم تلقني إن تقتنصني في الحوانيت تصطد إن يلتقي الحي الجميع تلاقني تروح علينا إذا نحن قلنا أسمعينا أنبرت لنا لم تشدد إذا رجّعت في صوتها خلت صوتها تجاوب .. تحامنتي العشيرة كلها إفردت أفراد البعير رأيت بني غبراء لا ينكرونني أيهذا اللائمي أحضر الوغى أشهد اللذات	أقسم ربهأ لتكتفن حتى تشاد بقرم أمرت يداها قتل شزر أجنحت لها عضداها أفرعت لها كتفاها تلاقى تبين لم يجرّد استكننا فتراهما كمكحولتي مذعورة تعرف العتق فيها متى ترجم به الأرض تزدد إن شئت لم ترقل إن شئت أرقلت إن شئت سامى واسط الكور رأسها عامت بضبعيها نجاأ الخفيدد على مثلها أمضي إذا قال صاحبي أفديك منها أفتدي إذا القوم قالوا من فتى
أياسني من كل خير طلبته وضعناه على رسم ملحد قلته نشدت	لا تستطيع دفع منيتي دعني أبادرها ملكيت يدي لم أحفل

<p>لم أغفل حمولة معبد قربت بالقربي إن أدع للجلى أكن من حماتها إن يأتك الأعداء بالجهد أجهد إن يقذفوا عرضك أسقهم أحدثته فرج كربي أنظرنني غدي ذرنني وخلي حل بيتي نائبا لو شاء ربي لو شاء ربي زارني بنون كرام فأليت إذا ما قمت منتصرا به كفى العودَ منه البدءُ لا ينثني عن ضريبة إذا قيل مهلا قال حاجزه قد إذا ابتدر القومُ السلاحَ وجدتني منيعا إذا بلت بقائمه يدي أثارت مخافتي</p>	<p>قام عودي متى ما تعل بالماء تزبد إذا نادى المضاف مجنبا نبهته لم يخضد يروى نفسه ستعلم إن متنا غدا أينما الصدي أرى قبر نحام ترى حثوتين من تراب أرى الموت يعتام الكرام يصطفي عقيلة مال الفاحش أرى العيش كنزا ناقصا وما تنقص الأيام والدهر ينفد ما أخطأ الفتى يلوم ما أدري علام يلومني؟ لامني في الحيّ قرط بن معبد أراني متى أدن منه يئأ عني يبعد</p>
<p>يا ابنة معبد لا تجعليني كامرئ لا يُغني غنائني ضرنني عداوة ذي الأصحاب نفى عني الرّجال جرائتي</p>	<p>بواديهامشي مرت كهاة يقول وقد ترّ الوظيف وساقها ترى أتيت بمؤبد</p>

قال..	حبست النفسَ عند عراكه
ترون	يخشى الفتى عنده الردى
قال ذروه	متى تعترك فيه الفرائص يرعد
تكفوا قاصي البرك يردد	استودعته كفاً مُجمد
يمتلن حوارها	ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا
يسعى علينا بالسديف المسرهد	يأتيك بالأخبار من لم تزود
إن مت فانعيني	يأتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتا
شقي علي الجيب	لم تضرب له وقت موعد

واستنادا إلى المعطيات العددية لكل من الجملة الاسمية والجملة الفعلية من خلال القوائم التجريدية يمكن إعادة صياغة النسبتين مئويا على الشكل التالي :

جدول رقم (1): تفرع بنية الجملة من حيث الاسمية والفعلية :

الجملة الاسمية	الجملة الفعلية
31.89 %	68.10 %

أمام هذه النسب المسجلة باختلاف كبير فيما بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، علينا أن نتذكر دائما في مبحث دراسة البنى التركيبية ، أن التحليل متوجه أساسا إلى دلالة البنية التركيبية من خلال السياق الواردة فيه ذلك أن " معنى التركيب يفيد الغرض الذي يبتغيه المتكلم من استعماله لعبارة من العبارات " (1) دون غيرها ، ولكن المعنى المستفاد من شكل التركيب هو نتيجة

(1) : صالح بلعيد . التراكيب النحوية وسياقاتها عند الإمام عبد القاهر الجرجاني . ص43 .
منهجية لشكل التحليل المتبع . فقد يُنظر إلى التركيب صوتا أو جملة من علاقات نحوية تفي بغرض المتكلم ، كما يمكن أن يُنظرَ إليه كتلة صرفية هي مركز الدلالة في المعاني النحوية الأخرى ، وتقسيم الجملة إلى قسمين اسمية وفعلية هو في الواقع تقسيم صرفي تبنى عليه معان وظيفية حاصلة للجملة من دلالة العنصر الصرفي الذي تسمت به اسما كان أو فعلا . والمعنى الوظيفي للتركيب من

هذا المنظور هو في الحقيقة توكيد للمعنى الوظيفي لمباني التقسيم يجعلنا ننظر إلى الجملة في هذا الجزء التحليلي كمبنى صرفي يأخذ المعنى المجرد لدلالة الاسم أو الفعل في عرف الصرف ، إذ كان البحث في هذا الجزء لا يتطوع إلى أكثر من تحديد الدلالة في الجملة الاسمية بشكل عام ، ونظيرتها في الجملة الفعلية ، ثم تأويل تلك الدلالات بما ينسجم وروح النص من وجهة نظر أسلوبية أو اجتماعية نفسية تعود بالنص إلى أصله الجماعي ، وتبرير ملمح المفارقة النسبية فيما بين الداليتين إن دعت الحاجة إلى ذلك . وقبل الشروع في استدعاء أصول تلك المقولات النحوية التي حددت لكل جملة دلالتها من الوجهة الصرفية يتعين علينا أن ننظر في الواقع العددي لكل جملة ، من خلال القائمتين التجريديتين اللتين كشفنا عن حضور و فير للجملة الفعلية كادت الجملة الاسمية أن تكون معه عنصرا مغيبا ، محاولا تبرير ذلك الحضور المكثف للجملة الفعلية .

إن العودة إلى الفصل السابق المخصص لمعاني المباني التصريفية ، وتحديدًا عند القائمة التجريدية لمبنى الاسم والقائمة التجريدية لمبنى الفعل ، وبالنظر إلى النسبة الهائلة للأسماء يجعلنا قبل النظر في القائمة التجريدية لمبنى الجملة الاسمية والقائمة التجريدية لمبنى الجملة الفعلية نتوقع الآتي :

سيكون هناك حضور للجملة الفعلية ولكنه يبقى ضئيلا بالنسبة للجملة الاسمية بناء على النسبة العالية للأسماء التي بلغت هناك أربعة وأربعين اسما مجردا في القائمة دون الضمائر ، ولكنه لا يعدو أن يكون أفق انتظار سطحي سرعان ما يخيب عند النظر إلى نسبتي الجملة الاسمية والجملة الفعلية من خلال القائمة السابقة ، وقد يدعو إلى القول بالتعارض والتناقض ، ولكن المتشبه بهذا الادعاء في حكم الذاهل عن حقيقة اللغة وطبيعة التركيب ، ذلك أن الأسماء في حال تجرّدها لغير الإسناد يكون لها حكم ووضع خاص ليس لها أكثر من الدلالة المعجمية الحاصلة من الاتفاق على تآلف الأصوات ، أما في حال تجرّدها للإسناد فإن لها وضعًا وحكما خاصا ينكشف من خلال البحث في قوانين تركيبها . إن التعارض الذي لو حصل كان تعارضا حقيقيا يعود بالأساس إلى غياب الدقة في الإحصاء، هو ارتفاع نسبة الجملة الفعلية على نسبة الفعل في القائمة الصرفية ولكنّ شيئا من ذلك لم يكن ، وإنما الذي حدث أن الجملة الفعلية امتصت الجزء الأكبر من الأسماء، وذلك مبرر على مستوى قوانين التركيب الإسنادي في واقع اللغة ، وجوهر ذلك متجسد في طبيعة المسند في كل نوع من الإسناد فمن المعلوم أن " الاسم صالح لأن يكون مسندا أو مسندا إليه وأن الفعل " ماصح أن يكون مسندا فقط " (1) ، ولما كان المسند في الجملة الاسمية اسما على الأصل والمسند في الجملة الفعلية لا يكون إلا فعلا فإن الظاهرة السابقة مبررة على مستوى ما يتعلق بالمسند في كل نوع من

الإسناد ، فنجد بالاستقراء أن ما يتعلق بالمسند على مستوى الجملة الاسمية محصور في المجرور والمضاف والتابع من عطف أو نعت أو توكيد أو بدل ، ومن الأول والثاني قوله في المعلقة :

لخولة أطلال بِبرقةٍ ثمهد تلوحُ كباقي الوشم في ظاهر اليد

ومن الثالث قوله :

عدولية أو من سفين بن يامن يجور بها الملاحُ طورا ويهتدي

ومن الرابع قوله :

وفي الحي أحوى ينفض المردَ شادنُ مُظاهر سِمطي لؤلؤ وزبرجد

وأما ما يتعلق بالمسند (الفعل) على مستوى التركيب في الجملة الفعلية فهو أكثر بكثير مما يتعلق به (المسند) في الجملة الاسمية ، فبالإضافة إلى متعلقات المسند في الجملة الاسمية نجد علاقات التعدية بكل ما حوت من مفعولية وتمييزية وحالية وإخراج وغائية وتوكيدية ومعية ، وكلها معان نحوية لا يصلح لها إلا الاسم على الأصل (*) ، فنجد أن المسند في الجملة الفعلية هو أكثر استقطابا للأسماء من نظيره في الجملة الاسمية بمعدل ثلاث عشرة إلى ستة ، وبهذه الآلية تجد الأسماء مساحة للحلول واسعة في إطار الجملة الفعلية ، بينما تضيق بها مساحة الجملة الاسمية ، وإن كانت الأسماء في اللغة أكثر من الأفعال ، لأن لكل فعل اسم ينسب إليه (*) وليس لكل اسم

(1) : حاشية الصبان على شرح الأشموني، ص41 .

(*) : إلا أن تخرج عن الأصل بجملة مؤولة بمفرد هي ذلك الاسم .

(*) : يقول سيبويه : وأما الأفعال فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الاسماء .. الكتاب .ج1ص12 .

فعل بالضرورة . وانطلاقاً من هذا التبرير اللغوي يمكن رد المخالفة السطحية الظاهرة بين نسبة الأسماء في جدول الفصل السابق والجملة الاسمية في الجدول المذكور آنفاً ، إلى هذا الاعتبار فنحكم بأن سبعين في المائة من الأسماء قد حلت في الجملة الفعلية .

ونعود هنا لتحديد دلالة كل من الجملة الاسمية والجملة الفعلية على مستوى الاستعمال الشخصي لصاحب النص ، لأنه ملمح أسلوبى ذو دلالات عميقة لها صلة بال نفسية والعقلية الفنية لصاحب النص .

إن النظر إلى الجملة الفعلية في الإطار النحوي كبنية صرفية ، من حيث كان " النحو لا يتخذ لمعانيه مباني من أي نوع إلا ما يقدمه له الصرف من مبان " (1) يجعلها تتأول دلالياً بما للعنصر الصرفي الذي تسمت به من دلالة ، فإذا كانت الجملة اسمية كانت جميع معاني العلاقات التي فيها تابعة في دلالتها العامة للعنصر الصرفي الذي تسمت به من حيث كانت بنيته دالة على معنى وظيفي محدد في عرف الصرف ، فهي بهذا الاعتبار دالة بجميع علاقاتها النحوية على معنى الثبات كمعنى وظيفي لمبنى الاسم ، لأن الاسم في جوهر معناه الوظيفي ما دلّ على مسمى تعييناً يتعرف به المسمى على وجه الاستقرار والثبات. أما الجملة الفعلية في معناها الصرفي فدالة بجميع علاقاتها النحوية على ما يدل عليه الفعل من حدوث وتجدد في الحدث، ومعنى تجدد الحدث في الفعل ليس مفهوماً من اللفظ، وإنما هو مفهوم من المعنى الثاني الذي يفيد الفعل وهو معنى الزمنية، وعليه فإن إفادة المعنى الوظيفي للاسم في الجملة الاسمية هو الثبات المطلق، وهذا المعنى عندما ينتزل على النص دلالياً فإنه يتأول بالسكون والجمود ، وأما إفادة المعنى الوظيفي للفعل على مستوى الجملة الفعلية فإنه يفيد الحدث وتجده ، أي تكرار الحدث ، وعندما ينتزل هذا المعنى على النص دلالياً ، فإنه يتأول بالحركة والاضطراب ، والاندفاع والتجاذب ، ما يوحي بأن هناك حياة في النص مليئة بالحركة والانفعال ، ولكن الاطمئنان إلى هذه النتيجة هو موقف ساذج ما لم يُدرأ شبح التعارض الذي قد يظهر من جديد إذا قابلنا هذه النتيجة مع ما تقرر من نتائج على مستوى تحليل المبنى الاسمي والمبنى الفعلي في الفصل السابق . فقد تقرر هناك سيطرة النزعة السكونية والانغلاق والجمود ، وكلها معان مستفادة من تحليل أنواع مبنى الاسم

(1) : تمام حسان . اللغة العربية معناها ومبناها . ص 178.

الجامد ، إذ كانت العنصر الأكثر وفرة بالنظر إلى مبنى الفعل بدلاته على الحدث ، غير أن دفع هذا التعارض - إن صحّ - متيسر إذا عدنا إلى السياق اللغوي للنص بملاحظة القرائن السياقية المحيطة باستعمال الفعل داخل التراكيب الإسنادية الفعلية ، مستصحبين مقولة تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد . نجد أن نسبة كبيرة من الأفعال قد وردت على الشكل التالي :

من حيث الصيغة الدالة على الزمن الماضي (فعل) وهو قليل بالقياس مع صيغة المضارع التي خرجت نسبة كبيرة منها إلى معنى المضيّ .

من حيث الدلالة على الحدث خرجت النسبة الأغلب منها إلى التجرد من هذه الدلالة لتحقيق معنى الوصفية التي للأسماء المشتقة التي تكون أخبارا على الأصل في الجملة الاسمية ، وقد كانت النسبة الأكبر من الأفعال بنوعها الماضي والمضارع قد حلت كعناصر أساسية أو مكملة في الجملة الاسمية لتؤدي وظيفة الأخبار فيها أو النعوت في مثل قوله :

لخولة أطلال ببرقة ثمهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

جمالية وجناء تردي كأنها سفنجة تبري لأزعر أر بد

كأن جناحي مضرحي تكفنا خفافيه شكا في العسيب بمسرد

وهي (الأفعال) في كل هذا تأخذ حكم المبنى الذي من شأنه أن يحل في هذه الأبواب ، فهي بالتالي خالية من الدلالة على الحدث ، أو أن الحدث فيها غير مقصود بعينه " لأنهم يُعبّرون عن الماضي والآتي كما يُعبّرون عن الشيء الحاضر قصدا لإحضاره في الذهن حتى كأنه مشاهد حالة الإخبار" (1) والمعنى من قصد إحضاره في الذهن كأنه مشاهد هو تجسيده على سبيل الحقيقة الثابتة

(1) : ابن هشام الأنصاري . مغني اللبيب عن كتب الأعراب . ج2ص797 . يقول : إنهم يعبرون عن الماضي والآتي كما يعبرون عن الشيء الحاضر قصدا لإحضاره في الذهن حتى كأنه مشاهد حالة الإخبار نحو : (وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة) . لأن لام الابتداء للحال ، ونحو : (هذا من شيعته وهذا من عدوه) . إذ ليس المراد تقريب الرجلين من النبي صلى الله عليه وسلم كما تقول : هذا كتابك فخذ ، وإنما الإشارة كانت إليهما في ذلك الوقت هكذا فحكيت ومثله : (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا) . قصد بقوله سبحانه وتعالى (فتثير) إحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة من إثارة السحاب ، تبدو أولا قطعا ثم تتضام متقلبة بين أطوال حتى تصوير ركاما . ومنه : (ثم قال له كن فيكون) . إي فكان . (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء أو تهوي به الريح في مكان سحيق) . (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض) ، إلى قوله تعالى : (ونري فرعون وهامان) ومنه عند الجمهور: (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد)، أي يبسط بدليل قوله: =

فعدت الأفعال الواردة في النص في أغلب صورها إلى معنى الوصفية الذي لا يصح معه تجدد الحدوث الذي في الفعل ، وكانت تابعة من حيث التعلق للدلالة الصرفية للعنصر المسند في الجملة الاسمية وهو الثبات ، ليعود معنى السكون وتخافت معنى الحركة والاضطراب في النص ، وأعتقد أننا قادرون بعيدا عن هذا التحليل أن نحكم بتخافت الحركة داخل النص ، وذلك بالنظر إلى أبيات النص في مبناها العددي وإلى النسبة المجردة للجملة الفعلية بعد ذلك ليتضح لنا أن مائة وخمسة وستين هي عدد الجمل الفعلية ليس كثيرا إذا ما قيس بحجم النص الذي بلغ طوله ثلاثة ومائة وحدة شعرية .

ولعل نظرة أسلوبية متفحصة لمضمون الشرائح النصية الثلاث تفيد بأن النسبة القليلة من الأفعال الدالة على الحدث كانت متركزة في الشريحة الثالثة التي حُصّصت للحديث عن تجارب ومواقف شخصية استدعت حضورا مكثفا للأفعال محتفظة بدلالاتها على معنى الحدث المتجدد أي الحركة ، وقد كان من المتوقع باعتبار مضمون الشرائح وما يتطلبه من مبان ، أن تكون الأفعال الدالة على تجدد الحدث في الشريحة الثانية المخصصة لوصف الناقاة ولكن ذلك لم يكن ، وكل ما في الأمر أن هناك حضورا مكثفا للصفات مبدؤه التجميع والتكديس لا الترتيب ، وأما الحركة فقليلة جدا إلى حد القول أن ما جاء من معنى الحركة في وصف الناقاة كان متكلفا له ، والذي عندي بهذا الصدد أن طرفة كان يصف ناقته في حالة سكونية ليس أثناء المسير ، وأن عدوها المزعوم في النص كان من أثر الوصف المتخيل المتداعي من مشهد محفوظ للناقاة في الذاكرة ، والمُرجَّح من كل

= (ونقلهم) ولم يقل وقلبناهم ، وبهذا التقرير يندفع قول الكسائي والفراء ، "إن اسم الفاعل بمعنى الماضي يعمل" . قلت : قوله " يندفع " هي عبارة المتكلمين ، بمعنى يترجح أو يصير قويا . وقد صح عن الكوفيين تسميتهم اسم الفاعل بالفعل الدائم ، وجعلوه قسما رابعا للفعل من حيث الدلالة على الزمن ، إذ قارن الفعل في الدلالة على الحدث ، وغايره في شكل الدلالة الزمنية إذ دل على الاستمرار بخلاف الفعل الذي يدل على الانقطاع ، وزمنه صيغي ، أما زمن الوصف المشتق فمفهوم من مجرى السياق ومعنى الحدث التجديدي يبقى مستفادا من عنصر الدلالة على الزمن ، وكلما كان الزمن في السياق بمعنى الاستمرار كلما كان الحدث مستمرا ، وكذا تستعمل الصفات في أغلب صورها ، كما تستعمل في معنى الحدوث المتجدد وهو قليل ، وقد تستخدم للوصفية المحضة فلا يراد بها زمن ولا تجدد حدوث وهذه من نوع الأمثلة التي ساقها بن هشام حيث يكون القصد من استعمال هذه الصفات وما يحل محلها من أفعال هو مجرد تقرير الشيء على سبيل الحقيقة الثابتة ، ولهذا رأيت يمازج بين الجمل الاسمية والفعلية مع ما بينهما من فرق في الدلالة ، وذلك المقصود من قوله " يريدون إحضاره في الذهن " على سبيل الحقيقة المقررة بالوصف الثابت .

ذلك عندي أنه كان يصفها قبل الانطلاق متوقفة ، وهو واقف على الديار ، ولهذا امتزجت أوصاف الحبيبة بأوصافها في كثير من الأحيان ، ما جعل البعض يذهب إلى القول بأن علاقة طرفة بالناقاة هي علاقة جنسية بالمعنى العوضي (*) ولا دليل لهؤلاء على ما قالوه إلا التعسف في الأحكام الانطباعية ، وتشويه الذاكرة الأدبية العربية ، ومبدأ عدم الترتيب في صفات الناقاة والاهتمام بالتجميع والتكديس فقط كان لهذا السبب ، فالشاعر كان منقسما على محورين من التصعيد ، محور الشوق الذي أثارته الديار (أطلال الحبيب) ، ومحور السلو عن ذلك والمتجسد في وصف الناقاة ، وقد صرح به من غير تعريض :

وإني لأمضي الهم عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي

والمحور الثاني كان حالة للحضور على مستويين ، مستوى الحضور الحقيقي المتمثل في الناقاة المتوقفة أمامه ، ومستوى الحضور المتخيل لهذه الناقاة ، وهذا المستوى تتنازع صورته ، الأولى لما ترسخ عن الناقاة مما كان منها على الحقيقة ، والثانية هي ما يحب الشاعر أن تكون عليه ناقته من تميز في سرعة الحركة التي يقتل فيها همّه على وجه تلك السرعة كما يصرح قائلا:

وإني لأمضي الهم عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي

وتدافع معطيات الصور إلى ذهن الشاعر من الحضور الحقيقي والمتخيل ، وسرعة الانتقال بين هذا وذلك هو السبب في نقض الترتيب المفترض في وصف أعضاء الناقاة وحركاتها .

وعندي كذلك ، أن من أسباب جعل الناقاة عنصرا ساكنا مع ما كان يرجى له من الحركة هو دخولها في الجو السكوني للأطلال البالية حتى أضحت رقما فيه لا تختلف عنه في كثير ، بالإضافة إلى قرب عهد وصفها بعهد وصف الأطلال كما تقرر سابقا ، ما يبرر خروج الأفعال إلى معنى الوصفية . وحتى إذا سلمنا مبدئيا بحركيتها فإن تلك الحركة تظل محدودة أمام موصوف آخر مستعمل للغرض نفسه هو الفرس ، ثم إن حركيتها هذه لا تظهر إلا كنقطة ساكنة في كف الصحراء المترامية الأطراف .

والحقيقة المستفادة من كل هذا أنها عنصر سكوني في النص للأسباب المذكورة وأين موقعها من

(*) : بعض أصحاب الاتجاه النفسي في الأدب بشكل خاص ، وإن كان مصدر هذه الأحكام هم المستشرقين أمثال بروكلمان

المخصوص بالوصف في رحلة امرئ القيس :

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

والقيمة الخلافية في الاستعمال اللغوي بين هذا وذاك أن طرفة عبر بالأفعال في موضع الصفات فخرجت عن معنى الحدث المقصود لذاته ، من حيث شعر أو لم يشعر ، المهم هو صدق البث في التجربة ، بينما عبر امرؤ القيس بالصفات في موضع الأفعال فأخذت دلالتها على الحدث من حيث قصدها لذاتها .

وهكذا سيطر السكون والثبات على مضمون الشريحة الأولى والثانية حتى إذا أصبح الشاعر يتحدث عن مواقف وتجارب في الشريحة الأخيرة جاءت أغلب الأفعال هناك مقصودا بها الحدث ، وبات عنصر الحركة شيئاً متخافتاً في النص ومن شأن النصوص الشعرية غلبة الحركة فيها والاضطراب على الجانب السكوني .

أما تعاضم الجانب السكوني في هذا النص فله دلالتان ، اجتماعية وتعود بنا إلى دلالة الأسماء وهي الجمود والانسداد وانحصار الأفق الحضاري ، ونفسية راجعة أساساً إلى فلسفة الشاعر المبنية على التأمل والتثبت . ولعل مقارنة بسيطة بين مطالع أصحاب المعلقات تكشف عن هذه الحقيقة ، فالمتصفح لهذه النصوص سيجد أن زهيراً وطرفة قد تفردا بمطالع ظللية ذات تراكيب إسنادية اسمية :

لخولة أطلال ببرقة ثمهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتتلم (1)

وهما نموذجاً الشاعر الحكيم كما سلف ، أما الآخرون فمتواطئون كلهم على مطالع ذات تراكيب إسنادية مفعمة بالحركة والاضطراب

فعند امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل (2)

(1) : ديوان زهير بن أبي سلمى . ص 102 .

(2) : شرح المعلقات السبع للزوزني . ص 09 .

وعند لبيد بن ربيعة :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبّد غولها فرجامها (1)

وعند عمرو بن كلثوم :

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا (2)

وعند عنتره بن شداد :

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم (3)

وعند الحارث بن حنّزة اليشكري :

أذنتنا بينها أسماء ربّ ثاو يُملّ منه الثواء (4)

(1) : ديوان لبيد بن ربيعة . ص 51 .

(2) : شرح المعلقات السبع للزوزني . ص 89 .

(3) : ديوان عنتره بن شداد . ص 15 .

(4) : شرح المعلقات السبع للزوزني . ص 117 .

3.1. المعاني الوظيفية للأنماط الأصلية والأنماط الفرعية في الجملة الاسمية والجملة الفعلية :

" النمط في اللغة هو الطريقة ، والنمط النحوي هو الطريقة النحوية الواجب اتباعها والنسج على منوالها ، وهو أساس الوحدة اللغوية التي تفسرها ظاهرة التركيب اللغوي " (1) ، ويُميز في التحليل اللغوي لمظاهر التركيب بين نوعين رئيسيين من الأنماط هما : النمط الأصلي والنمط الفرعي ، ويُقصد بالنمط الأصلي الشكل الأول في الترتيب القاعدي لعناصر الملفوظ المركب، على نسق من العلاقات النحوية يكون كل عنصر فيها محفوظ الرتبة على وجه التسلسل المنطقي الذي يقضي بتقدم مبنى المبتدأ أصلاً على الخبر في الجملة الاسمية ، أو تقدم الفاعل على مفعوله في الجملة الفعلية ، بينما يقصد بالنمط الفرعي ما خرج عن هذا الأصل المنطقي لترتيب العناصر في الملفوظ المركب على وجه يُبيح تقدّم الخبر على مبتدئه ، أو المفعول على فعله وفاعله لأغراض إبلاغية ترجع من حيث الأصل إلى معنى واحد هو العناية بالعنصر المقدم (*) ، حيث يُنظر إلى هذا النمط على أساس كونه بنية سطحية لمظاهر إمكانات التشكل اللغوي في البنية العميقة التي هي النمط الأصلي ، وتحليل العلاقات النحوية في البنية السطحية يفيد المعنى الدلالي المقصود من تحويل البنية العميقة عن جهتها المحفوظة ، يرى شومسكي بهذا الصدد " أن الركن الرئيس الذي يجب أن تحققه النظرية اللغوية عند البحث في البنية التحتية هو تحديد الغرض المقصود من التركيب اللغوي ، وإظهاره من خلال العلاقات النحوية القائمة بين الأبواب النحوية التي تنتمي إليها كلمات ذلك التركيب " (2) ولا تقتصر مظاهر التشكل في النمط الفرعي على اعتبار التقديم والتأخير وإنما على مجموعة من الاعتبارات منها التقديم والتأخير بنوعيه الواجب والجائز ، والحذف والتضمين وتحديد دلالة العناصر المركبة على مستوى النمط الفرعي تكون غاية في الصعوبة لأنها تعتمد على مبدأ الحدس الذي يقود إلى متاهة الأفكار الظنية ، ولهذا نجد صوراً من الإعراب لا تكاد تنحصر للجملة الواحدة ، وهذا الاختلاف في تعيين الدلالة مُبرّر على

(1) : صالح بلعيد . التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني . ص 106 .

(*) : حصرها سيبويه في العناية ، واهتم الإمام عبد القاهر الجرجاني بقواعد العناية بالعنصر المقدم والمحذوف والمحول من خلال نظرية النظم في دلائل الإعجاز في علم المعاني ، فخالف سيبويه ومن تقدمه بتفريعات جليلة الفائدة أسست إلى مرحلة جديدة من التفكير اللغوي العربي .

(2) : أحمد خليل عمارة . المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي . ص 110 .

مستوى لعبة الدلالة المقصودة التي تستهدف في تفسيرها ذلك النوع من النصوص المصنوعة لهذا الغرض ، وفي مقدمتها النصوص الإبداعية التي يكون فيها تحويل البنى اللغوية الأصلية عن أصولها ملمحا أسلوبيا مؤشرا على أدبية النص ، وبناء على هذه الفكرة الافتراضية على المستوى النظري يجد القارئ نفسه إزاء هذا النص المدروس بوصفه نصا إبداعيا ، بأفق توقع يتطلع من خلاله إلى حضور كبير للتراكيب الفرعية المحولة عن أصولها ، إلا أن الواقع التشريحي للبنى الفرعية والأصلية ، إن على مستوى الجملة الاسمية أو الفعلية ، يضعنا أمام ظاهرة معاكسة تماما للواقع الافتراضي ، فقد بلغت نسبة الأنماط الأصلية في الجملة الاسمية من خلال التشريح تسعا وخمسين جملة ، بينما تراجعت نسبة الأنماط الفرعية إلى ثلاثة وعشرين نمطا ، وارتفعت الأنماط الأصلية مرة أخرى إلى حدها الأقصى في الجملة الفعلية لتبلغ أربعة وعشرين ومائة لتتأخر ، بعدها الأنماط الفرعية إلى مستوى اثنين وثلاثين جملة من نوع النمط الفرعي كما هو مبين في القوائم التجريدية التالية :

3 . القائمة التجريدية للأنماط الأصلية في الجملة الاسمية :

وَأَتْلَعُ نَهَاظَ كَسْكَانٍ بَوْصِيٍّ وَجَمَجَمَةً مِثْلَ الْعَلَاةِ وَعَى الْمَلْتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفٍ مَبْرِدٍ وَحَدَّ كَقَرْطَاسِ الشَّامِيِّ وَمِشْقَرٍ كَسَبَتِ الْيَمَانِيَّ قَدَهُ لَمْ يُجَرِّدِ عَيْنَانِ كَالْمَاوِيَّتَيْنِ اسْتَكْنَتَا طَحُورَانَ عَوَّارِ الْقَذَى فْتَرَاهُمَا وَأَرْوَعُ نَبَاضٍ أَحَدُ مَلْمَمٍ أَعْلَمُ مَخْرُوتُ مِنْ الْأَنْفِ مَارِنُ أَنْيَ عُنَيْتُ وَلَسْتُ بِحَلَالِ التَّلَاعِ	كَأَنَّ خَدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غَدُودَةٌ خَلَايَا سَفِينٍ كَأَنَّ مَنُورًا تَخَلَّلَ حَرَّ الرَّمْلِ وَوَجْهَهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ رِدَاءَهَا عَلَيْهِ وَإِنِّي لِأَمْضِي الْهَمَّ كَأَنَّهُ ظَهَرَ بُرْجِدُ كَأَنَّ جَنَاحِي مَضْرَحِي تَكْنَفَا كَأَنَّهُمَا بَابَا مَنِيْفٍ وَطِيَّ مَحَالٍ كَالْحَنِيِّ خَلُوفِهِ وَأَجْرَنَةُ لَزَتْ بِدَائِي مَنُضِدُ كَأَنَّ كِنَاسِي ضَالَّةٌ يُكْنَفَانَهَا كَأَنَّ عُلُوبَ النَّسْعِ مَوَارِدُ كَأَنَّهُا بِنَائِقُ غَرِّ
---	--

<p>كان مولاي امرأ ولكن مولاي امرؤ هو خانقي وظلم ذوي القربى أشد مضاضة كنت قيس بن خالد كنت عمرو بن مرثد أصبحت ذا مال أنا الرجل وبَرَكَ هَجُودٍ قد أثارت مَخَافتي ألست ترى ماذا ترون إنما نفعها له ظل الإمامُ يمتلن حوارها أنا أهله ليس همّه كهَمّي لو كنت وغلا في الرّجال وأصفر مضبوح قد نظرت حواره</p>	<p>نداماي بيض قينة تروح علينا ومازال تشرابي الخمر أنت مُخلدي كنت لا تستطيع ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى منهن سبقُ العاذلات الدَّجْنُ مُعْجِبُ كَأَنَّ البُرَيْنَ والدِّمَالِيحَ عُلِقَتْ كريم يروّي نفسه في حياته أيّنا الصدي الدّهر ينفد إنّ الموت ما أخطأ الفتى لكالطّول المرخي وثنيه باليد كأنا وضعناه أني نشدت</p>
---	---

4. القائمة التجريدية للأنماط الفرعية في الجملة الاسمية :

<p>.... جمالية وجناء لها فخذان كقنطرة الرومي صُهَابِيَّة العُثُون مُوجدة القرى</p>	<p>لخولة أطلال ببرقة ثمهد عدولية أو من سفين بن يامن وفي الحي أحوى ... حَذُول أمُونُ كألواح الأران</p>
--	---

.... كرى إذا نادى المضاف مجنبا بعيدة وخذ الرجل (*)
... تقصير يوم الدّجن مؤارة اليد
عليهما صفائح صمّ جنوح دفاق
لعمرك صادقتنا سمع التوجس
إنني لك شاكر مؤللتان
لعمرك	من فتى
ما أمرى على بغمّة	رحيب قطاب الجيب

وانطلاقا من المعطيات المتميزة لكل من الأنماط الأصلية والأنماط الفرعية في الجملة الاسمية من خلال القوائم التجريدية ، يُمكن إعادة كتابة النسبتين مئويا على الشكل التالي :

جدول رقم (2) تفرع الجمل الاسمية من حيث الأنماط الأصلية والفرعية :

الأنماط الفرعية	الأنماط الأصلية
28.91 %	71.08 %

5. القائمة التجريدية للأنماط الأصلية في الجملة الفعلية :

حلّت رداءها	تلوح كباقي الوشم
لم يتخذد	يقولون لا تهلك
أمضي همّ	تجلد
ترؤح	يجور بها الملاح
تغتدي	ينفض المرء
نصأتها على لاحب	تراعى ربربا
تردي	تبسم عن ألمى
تبارى عتاقا ناجيات	أسف ...
أتبعن وظيفا وظيفا	لم تكدم

(*) : النقط الخطية التي في الجمل تشير إلى العنصر المحذوف المقدر.

أحلت عليها	تربعت القفين بالشول
------------	---------------------

أجذمت	ترتعي حدائق
قد خب آل الأمعز	تريع إلى صوت المهيب
فذالت	تكنفا خفافيه
ذالت وليدة مجلس	أكمل النحض فيهما
تري ربّها أذيال سحل ممدد	لزت بدأي
متى يسترفد القوم أرفد	يكنفانها
فإن تبغني في حلقة القوم تلقني	أقسم ربّها لتكتنن
وإن تقتنني في الحوانيت تصطد	حتى تشاد بقرمد
وإن يلتقي الحي الجميع تلاقني	أمرّت يداها قتل شزر
تروح علينا	تلاقى
أنبرت لنا	تبين
إذا رجعت في صوتها	لم يجرّد
تحامنتي العشيرة كلها	استكننا
أفردت أفراد البعير	تراهما كمحولتي مذعورة
رأيت بني غبراء لا ينكرونني	تعرف العتق فيها
أحضر الوغى	إن شئت لم ترقل
أشهد اللذات	إن شئت أرقلت
لا تستطيع دفع منيتي	عامت بضبيعتها
دعني أبادرها	قال صاحبي
ملكيت يدي	أفديك منها
لم أحفل	أفتدي
متى قام عودي	خلت أنني عنيت
إذا نادى المضاف مجنبا	لم أكسل
متى ما تعل بالماء تزبد	لم أتبلد
فرّج كربني	نبهته
أنظرني غدي	لم يُخضد

<p>ذرني وخلقني حل بيتي نائبا لو شاء ربي لو شاء ربي زارني بنون كرام تعرفونه قمت منتصرا لا يثنني عن ضريبة إذا قيل مهلا قال حاجزه قدي ابتدر القوم السلاح وجدتني منيعا قد أثارته مخافتي فمرت كهأة يقول وقد ترّ الوظيف ترى قد أتيت بمؤبد وقال ترون وقال ذروه تكفوا قاصي البرك يزدد يمتلن حوارها يُسعى علينا بالسديف</p>	<p>يروى نفسه ستعلم إن متنا أيّنا الصدي أرى قبر نحام ترى حثوتين من تراب أرى الموت يعتام الكرام يصطفي عقيلة مال الفاحش أرى العيش كنزا ناقصا وما تنقص الأيام ما أخطأ الفتى يلوم ما أدري علام يلومني أراني متى أدن منه بنا عنى ويبعد أيأسني من كل خير طلبته وضعناه على رمس ملحد قلته نشدت لم أغفل حمولة معبد قربت بالقربي متى يك أمر للنكيثة أشهد وإن أدع للجلي أكن من حماتها إن يأتك الأعداء بالجهد أجهد أحدثه</p>
<p>ضرني عداوة ذي الأصحاب حبست النفس استودعته كفّ مجمد</p>	<p>إن مت فانعيني لا تجعليني كامرى لا يُعني غنائي</p>

6. القائمة التجريدية للأنماط الفرعية في الجملة الفعلية :

<p>... أيهذا اللائمي <u>علام يلومني</u> <u>لامني في الحي</u> قرط بن معبد <u>إن يقذفوا بالقذع</u> عرضك أسقهم <u>كفى العود</u> منه البدء <u>بئت يقائم</u>ه يدي <u>بواديه</u>ا أمشي <u>شقي علي</u> الجيب يا.. ابنة معبد <u>نفي عني</u> الرجال جرائتي <u>يخشى الفتى</u> عنده الردى <u>متى تعترك</u> فيه الفرائص يرعد <u>ستبدي لك</u> الأيام ما كنت جاهلا <u>يأتيك بالأخبار</u> من لم تزود <u>يأتيك بالأخبار</u> من لم تبع له بتاتا <u>لم تضرب له</u> وقت موعد</p>	<p>..... وقوفا بها صحبي <u>يشق حباب</u> الماء حيزومها بها <u>قسم الترب</u> المفايل ترتدي ... <u>سقته إياة</u> الشمس <u>تتقي بذى</u> خصل روعات أكلف فطورا به خلف الزميل تارة على حشف <u>أجنت لها</u> عضداها <u>أفرت لها</u> كتفاها <u>متى ترجم</u> به الأرض تزد <u>سامى واسط</u> الكور رأسها <u>على مثلها</u> أمضي إذا ... القوم قالوا إذا ... نحن قلنا أسمعينا أنبرت لنا</p>
--	--

(*): تشير النقط الخطية في الجمل إلى العنصر المحذوف المقدر، بينما يشير السطر إلى العنصر المقدم في التركيب الفرعي .

وانطلاقا من الوضع المتباين للأنماط الأصلية والفرعية للجملة الفعلية من خلال القوائم التجريدية ،

يمكن إعادة كتابة النسبتين منويا على الشكل التالي :

جدول رقم (3) تفرع الجملة الفعلية من حيث الأنماط الأصلية والفرعية :

الأنماط الفرعية	الأنماط الأصلية
-----------------	-----------------

إذا كان البحث قد رصد من خلال الخطوة التشريحية لكل من الأنماط الأصلية والأنماط الفرعية في الجملة الاسمية والجملة الفعلية تراجعا كبيرا في نسبة الأنماط الفرعية في الجملتين ، فإن البحث في هذه الخطوة يكون أكثر عناية بمحاولة الكشف عن الأسباب المتحكمة في شكل توزيع هذه الأنماط كظاهرة نصية ، ومعرفة الدلالات التي تختفي وراء هذا الاستعمال ، ولا شك أن شكل البحث في هذه الدلالات سيكون أسلوبيا ينطلق أولا من الدلالة العامة لكل نوع من الاستعمال النمطي على نوع التعبير المقصود من كل استعمال .

سبقت الإشارة فيما مضى إلى أن تحديد المعاني المتعلقة بالأغراض الإبلغية على مستوى النمط الأصلي هي معان محصلة للناظر على وجه السهولة من غير تكلف في الافتراض والتأويل ، ولهذا لا يكثر الخلاف في تحديد دلالات التراكيب الأصلية ، ومن هذا المنطلق يمكن الحكم على تلك الأغراض الإبلغية بأنها أغراض من الدرجة الأولى من الشكل البسيط ، وأما تحديد المعاني المتعلقة بالأغراض الإبلغية على مستوى النمط الفرعي فهي معان لا تحصل إلا بالنظر في الوجوه المختلفة للاستعمال اللغوي الواحد ، وتعتمد أساسا على الحدس والأفكار الظنية ، فتكثر فيها التخريجات والتأويلات ، ولا تكاد تستقر على معنى واحد. فهي بهذا الاعتبار وبدليل مخالفة الأولى معان من الدرجة الثانية من الشكل المعقد ، والمقارنة بين هذه وتلك هي مقارنة بين بسيط ومعقد ، وعندما نلامس النص بشكل هذه المقارنة ، فإننا نحكم على الأساليب النصية بأنها أساليب بسيطة غير معقدة والأغراض المتعلقة بها هي أغراض بسيطة تابعة لها في الحكم ، تعكس بوضوح البساطة العقلية من جهة ، وبساطة التجربة التأملية في العقل المبدع لصاحب النص ، ومنشأ تلك البساطة العقلية فيما يتراءى ، هو بساطة الحياة الاجتماعية التي تميزت بغياب عنصر التنوع الجغرافي في البيئة العربية الصحراوية ، وانحصار حدود العلاقات الاجتماعية فيها على

الحدود القبلية للمجتمع الوبري ، ما أسس إلى خلق نوع من الحياة النمطية لديهم ، لا تعرف التحول إلا في جهة الترحال الذي يُرسخ مظاهر الحياة الأولى ، بالإضافة إلى النزعة الحكيمة التي ينطلي بها شعر طرفة والتي يسعى فيها إلى التقرير عن طريق التبسيط في المعاني

4.1 المعاني الوظيفية للتراكيب الإسنادية الرئيسية وغير الرئيسية في الجملة الفعلية :

الإسناد في اللغة اسم مشتق المعنى من السند وهو " كل شيء أسندت إليه شيئاً " (1) أي أضفته إليه، أما في الاصطلاح اللغوي فما يمكن إضافته من الكلمات بعضه إلى بعض ، على وجه التضام لإحداث علاقة معنوية تسمى إسناداً ، ولا تنشأ هذه العلاقة المعنوية إلا باجتماع عنصرين أساسيين هما محورا العلاقة الإسنادية ، يسمى الأول فيها مسندا والثاني مسندا إليه (2) ، ويفرق النحاة بهذا الصدد بين نوعين من هذه العلاقات المعنوية الناشئة عن اجتماع عنصرين ، هما العلاقات المعنوية الناشئة بين العمد والعلاقات الأخرى التي تكون مبنية عليها في المعنى ، وتشمل علاقات التعديّة بجميع أنواعها ، ما يسميه النحاة فضلات متممة للكلام وليست من جوهره ، ويُعرف هذا التوجه من التحليل في نظرية التقسيم الوظيفي للكلام بنواة الكلام والأخبار المتعلقة بها ، فنواة الكلام هي موضوعه ، أما الأخبار فما يتعلق به من صفات وأحوال تدور حول الموضوع (3) ما يسمى تماماً عند النحاة بالعمد والفضلات المبنية(4) عليها مما يتم به الكلام الذي حصلت منه الفائدة

(1) : ابن منظور . لسان العرب . ج6ص360 .

(2) : يقول سيبويه : هذا باب المسند والمسند إليه وهما ما لا يغني أحدهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا . فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه ، وهو قولك ، عبد الله أخوك ، وهذا أخوك ، ومثل ذلك يذهب عبد الله ، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء . الكتاب . ج1ص23 .

(3) : من نظرية التقسيم الوظيفي للكلام (ماتيزيوس) نقلا عن صالح بلعيد ، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني . ص57/56 .

(4) : يقول سيبويه : وأما النصب في الخبر فقولك : هذا الرجل منطلقا ، جعلت الرجل مبنيا على هذا ، وجعلت الخبر حالا له قد صار فيها ... وقوله : فينصب الخبر لأنه خبر لمعروف يرتفع على الابتداء قدمته أو أخرته وذلك قولك : فيها عبد الله قائما ، وعبد الله فيها قائما . فعبد الله ارتفع على الابتداء لأن الذي ذكرت قبله وبعده ليس به وإنما موضع له، ولكنه يجري مجرى الاسم المبني على ما قبله . قلت : قوله ذكرت قبله وبعده يعني تقديم الجار والمجرور على المبتدأ في الأول وتأخيرهما في الثاني وقوله (ليس به) ، الهاء تعود على الجار والمجرور . أي المبتدأ عبد الله في المثال لم يرتفع بهما وإنما (هو) أي معنى الجار والمجرور (موضع له) أي مكان وجود واستقرار . يقول : فإذا نصبت القائم (ففيها) قد حالت بين المبتدأ والقائم ، واستغني بها . فعمل المبتدأ حين لم يكن القائم مبنيا عليه . قلت : قوله (استغني بها) أي عن ذكر الخبر في قولك : عبد الله قائما فيها ، وقوله مبنيا عليه ، يعني مسندا إليه مرتفعا به . يقول : وإنما تجعل (فيها) إذا رفعت القائم مستقرا للقيام وموضعا له . . أي قولنا (عبد الله فيها قائم) ، وأما معمول المحذوف في (قائما) فمبني في المعنى على المبتدأ لأنه من لواحق الأخبار وإن كان حالا ، وكذلك كل الفضلات . وهو معنى قولهم مبنية عليها . الكتاب . ج2ص90/88 .

حسن السكوت عليه . والعمدة " عبارة عما لا يسوغ حذفه من أجزاء الكلام إلا بدليل يقوم مقام اللفظ (1) ، وقد حصرت أصولها في المرفوعات من مبتدأ وخبر وفاعل .

وفي هذا الجزء من تحليل التراكيب الإسنادية أحاول أن أرصد كلا من نسبي التراكيب الإسنادية الأصلية والعلاقات الأخرى التابعة لها في المتممات الفعلية ، ولا شك أنه بحث تتفرد به الجملة الفعلية ، لأن تلك العلاقات من خواصها في التركيب ، وإذا وجدت في الجملة الاسمية فبتقدير محذوف عامل من فعل أو شبهه في العمل ، ولعله من المفيد إعادة صياغة شكل البحث بطريقة تجعلنا أكثر وعياً به ، من حيث كان البحث في الجملة الفعلية فإن العلاقة الأصلية فيها هي علاقة ناتجة من إسناد الفعل إلى فاعله ، وأما العلاقات الأخرى والتي ارتضيت في عنوان البحث أن أسميها علاقات إسنادية غير رئيسية فهي علاقات التعديّة بجميع أشكالها ، ولهذا فالمقابلة التشرّحية في هذه الخطوة متوجهة إلى رصد كل من نسبي جمل اللزوم والتعديّة في النص من دون تطرق إلى تحليل المعاني الخاصة بكل علاقة منها في جمل التعديّة ، وإنما الاشتغال فقط على مفهومي اللزوم والتعديّة وهما معنيان وظيفيان لمبنى جملتين مختلفتين ، واللزوم عبارة عن اكتفاء الفعل بفاعله دون أن يتعداه إلى مفعول ، وأما التعديّة فإن يتجاوز الفعل فاعله إلى واحدة من العلاقات المعنوية المذكورة ابتداء من المفعول به ، ولهذه التعديّة أشكال مختلفة منها التعديّة المباشرة كقوله في المعلقة :

تربعتِ القَيْنُ بالشوّل ترتعي حقائق موليّ الأسرّة أغيد

والتعديّة بالتضمين ، وهي تضمين فعل لازم في الاستعمال معنى فعل آخر مُتعدّ فيصبح متعدياً بمعنى الفعل الثاني المتضمن معناه . والتعديّة بالواسطة من جارٍ وشبهه وبالحذف أيضاً عند دلالة السياق ، وهذه هي الأشكال المتبعة في رصد مباني كل من جملة اللزوم وجملة التعديّة في النص المدروس .

وقد كشفت عملية التشرّيح على مستوى الجملة الفعلية لرصد مباني جمل اللزوم والتعديّة عن تراجع كبير في نسبة جمل اللزوم ، فاسحة المجال أمام اكتساح جمل التعديّة لبنية الجملة الفعلية في النص . فقد بلغت نسبة جملة التعديّة اثنتين وعشرين ومائة جملة موزعة بين أنواع

(1) : السيوطي . همع الهوامع . ج1ص307 .

التعدية المذكورة آنفا ، بينما انخفضت نسبة اللزوم إلى ثمانية وعشرين جملة كما هو مبين في
القائمتين التجريديتين لكل منهما :

7. القائمة التجريدية لجمال التعدية في الجملة الفعلية :

أفتدي	يقولون لا تهلك أسي
إذا القوم قالوا من فتى	ينفض المرد
خلت أنني عنيت	أسفًا ...
<u>أحلت عليها بالقطيع</u>	<u>ولم تكذب عليه</u>
<u>فذالت كما ذالت وليدة مجلس</u>	حلت رداءها
تري ربها أنيال سحل ممدد	أمضي الهم
فإن تبغني في حلقة القوم تلقني	نصاتها على لاحب
إن تقتنصني في الحوانيت تصطد	<u>تردي لأزعر أربد</u>
إن يلتقي الحيّ الجميع تلاقني	تباري عتاقا ناجيات
<u>تروح علينا</u>	أتبعث وظيفا وظيفا
<u>أنبرت لنا</u>	تربعت القفّين
<u>إذا رجعت في صوتها</u>	ترتعي حدائق
تحامنتي العشيرة كلها	تكفأ خفافيه
أفردت أفراد البعير	لزت بدأي
رأيت بني غبراء	يكنفانها
أحضر الوغى	حتى تشاد بقرمد
أشهد اللذات	أمرت يداها قتل شزر
لا تستطيع دفع منيتي	تراهما كمحولتي مذعورة
دعني أبادرها	تعرف العنق فيها
ملكيت يدي....	إن شئت لم ترقل
لم أحفل	إن شئت أرقلت
متى ما تعل بالماء تزبد	أفديك منها

<p>أنظرني غدي ذرني وخلي حل بيتي نائيا عند ضر غد لو شاء ربي ... لو شاء ربي ... زارني بنون كرام تعرفونه قيل مهلا قال حاجزه قدي ابتدر القوم السلاح وجدتني منيعا بلت بقائمه يدي قد أثارت مخافتي يقول ألسنت ترى <u>قد أتيت بمؤبد</u> قال ماذا ترون قال ذروه إلا تكفوا قاصي البرك يردد يمتلن حوارها <u>يسعى علينا</u> لا يغني غنائى ضرني عداوة ذي الأصحاب حبست النفس استودعته كف مجمد وقوفا بها صحبي</p>	<p>نَبَّهتَه لم يخضد يروى نفسه ستعلم إن متنا غدا أينا الصّدي أرى قبر نحام ترى حثوتين من تراب أرى الموت يعتام الكرام يصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدّد أرى العيش كنزا ناقصا كلّ ليلة ما أخطا الفتى يلومُ..... ما أدري علام يلومني لامني في الحيّ قرط بن مَعْبَدٍ <u>متى أدنُ منه يئأ عنيّ ويبعد</u> أيأسني من كل خير طلبته وضعناه على رمس ملحد قلته نشدت لم أغفل حمولة معبد <u>قرّبتُ بالقربى</u> متى يك أمر للنكيئة أشهد ... <u>إن أدع للجلى أكن من حماتها</u> <u>إن يأتك الأعداء بالجهد أجهد</u> أحدثه فرج كربي</p>
<p>... أيهذا اللائمي</p>	<p>يشق حبابَ الماء حيزومها بها</p>

<p>قسم الترب المغايل باليد ترتدي..... سقته إياة الشمس تتقي بذي خصل روعات أكلف ملبد فطورا به خلف الزميل <u>تارة على حشف كالشن ذاو مجدّد</u> <u>أجحت لها عضداها</u> <u>أفرت لها كتفاها</u> متى ترجم به الأرض تزدد سامى واسط الكور رأسها إذا نحن قلنا أسمعينا <u>على مثلها أمضي</u> إن مت فانعيني</p>	<p><u>إن يقذفوا بالقذع عرضك أسقهم بكأس الموت</u> كفى العود منه البدء <u>بلت بقائمه يدي</u> شقي علي الجيب ولا تجعليني كامرئ يا.... ابنة معبد <u>يواديهامشي</u> نفي عني الرجال جراتي يخشى الفتى عنده الردى ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا <u>يأتيك بالأخبار من لم تزود</u> <u>يأتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتا</u> لم تضرب له وقت موعد</p>
--	---

8. القائمة التجريدية لجمل اللزوم في الجملة الفعلية :

<p>تريغ إلى صوت المهيب أكمل النحض فيهما أقسم ربها تلاقى تبين لم يجرّد استكننا</p>	<p>تلوح كباقي الوشم تجلد يجور بها الملاح تبسم عن ألمى لم يتخذد تروح تغتدي</p>
---	---

(*): تشير النقط الخطية إلى العنصر المتعدى إليه ، المحذوف من الكلام ، بينما يشير السطر إلى مواطن التعدية بالواسطة .

عامت بضبعيها	وما تنقص الأيام والدهر ينفد
--------------	-----------------------------

لم أكسل أجذمتُ قد خبَّ آلُ الأمعر متى يسترفد القوم أرفد قام عودي نادى المضاف	يبعد قمت منتصرا به لا ينثني عن ضريبة مرّت كهاة ترّ الوظيف وساقها متى تعترك فيه الفرائص يرعد
---	--

وانطلاقاً من الوضع المتباين لكل من جمل اللزوم وجمل التعديّة من خلال القوائم التجريدية ، يمكن إعادة صياغة النسبتين مئوياً على الشكل التالي :

جدول رقم (4) تفرع الجملة الفعلية من حيث اللزوم والتعدي :

جمل اللزوم	جمل التعديّة
18.66 %	81.33 %

إذا ما أردنا الحديث عن دلالات اللزوم والتعديّة انطلاقاً من الوضع المتباين لهما من خلال القوائم التجريدية علينا أن ننطلق من واقع اللغة نفسه حتى نؤصل لهذين المفهومين كمعنيين وظيفيين لتركيبين مختلفين لبنية واحدة هي بنية الجملة الفعلية ، وبالعودة إلى واقع اللغة تنجلي لنا مجموعة من الحقائق الواجب الاعتماد عليها في تحديد دلالات جمل اللزوم والتعديّة .

إن واقع اللغة في بعده التركيبي ، يظهر أن أكثر الأفعال في اللغة هي أفعال التعدي ، وأن الأفعال اللغوية كلها متعدية بفعل جوهر ، لا بفعل مصير في التركيب ، لأن مفهوم اللزوم والتعديّة في قسمة الجملة الفعلية مبني على أساس تركيبى يأخذ بعين الاعتبار حجم البنية التركيبية للجملة من حيث عدد عناصرها ، وذلك برصد أثر الفعل الممتد إلى العناصر اللفظية على مستوى بنية الجملة الفعلية ، أما الأساس الدلالي فلا يرتضي هذه القسمة لأن الفعل في اللغة يتعدى فاعله مطلقاً إما إلى الزمنية أو المكانية أو غيرها .. وكلها معانٍ ضمنية مؤولة بالمفعولية من حيث التعديّة (*)

(*) : يقول سيبويه : واعلم أن الفعل الذي لا يتعدى الفاعل يتعدى إلى اسم الحدثان الذي أخذ منه ، لأنه إنما يذكر ليدل على =

واستنادا إلى هذه المعطيات لا تكون غلبة جمل التعديّة على بنية الجملة الفعلية في النص مؤشرا على بنية نموذجية يتأسلب بها النص ، إذ ليس في ذلك أكثر من تكريس لواقع اللغة القاضي بغلبة الفعل المتعدي على بنية الجملة الفعلية ، كما يمكن من المعطيات نفسها اعتبار البنيتين نسبة واحدة محمولة على معنى التعديّة من وجهة نظر دلالية ، تأخذ بعين الاعتبار تحليل معنى الفعل ، فيلتغي معنى اللزوم أليا ، ونكون إزاء نوعين من التعديّة هما : التعديّة الصريحة والتعديّة الضمنية ، ونسبة التعديّة الصريحة هي نسبة جملة التعديّة في التقسيم التركيبي الأول للجملة الفعلية ، أما التعديّة الضمنية فهي نسبة جمل اللزوم في التقسيم نفسه ، وبلاشغال على هذه النتيجة الجديدة وفق نظرة أسلوبية ، نجد أن معنى التعديّة له علاقة بالفاعل تتأرجح بين القوة والضعف تبعا للتصريح بعلاقة التعديّة وتغييبها ، فمعنى المفعولية ظاهر في التعديّة الصريحة والقارئ مُقَيّد به لا يجاوزه ، أما على مستوى التعديّة الضمنية فمعنى المفعولية متروك لحرية القارئ ، وهو بمثابة الفراغ النصي ، يمكن للقارئ أن يتصور للفاعل ما شاء من علاقات التعديّة زمانا ، مكانا أو نوعا وما شابه ذلك ، ولا شُبّهة في أن الإضمار في الكلام أبلغ بكثير من الإظهار ، وعليه فإن شكل المعنى الوظيفي الواجب الاشتغال عليه في هذا الصدد هو المقابلة بين فاعل محدود القوة مفهوم من شكل التعديّة الصريحة ، وفاعل مطلق في القوة مفهوم من شكل التعديّة الضمنية المستفادة من بنية اللزوم في القسمة التركيبية الأولى ، فذكر علاقة التعديّة وتقييد الفاعل بها هو سلب لقوة الفاعل وإضعاف له ، أما تغييبها عن السياق اللفظي وترك الحرية فيها للقارئ فيعتبر تقوية للفاعل

= الحدث ، ألا ترى أن قولك قد ذهب بمنزلة قولك قد كان منه ذهاب ، وإذا قلت ضرب عبد الله لم يستين أن المفعول زيد أو عمرو ، ولا يدل على صنف كما أن ذهب قد دل على صنف ، وهو الذهاب ، وذلك قولك ذهب عبد الله الذهاب الشديد ، وقعد قعدة سوء ، وقعد قعدتين ، لما عمل في الحدث عمل في المرة منه والمرتين ، وما يكون ضربا منه ، فمن ذلك ، قعد القرفصاء واشتمل الصماء ورجع القهقري لأنه ضرب من فعله الذي أخذ منه .

ويتعدى إلى الزمان نحو قولك : ذهب ، لأنه بني لما مضى وما لم يمض ، فإذا قال ذهب فهو دليل على أن الحدث فيما مضى من الزمان ، وإذا قال سيذهب فإنه دليل على ما يستقبل من الزمان ، ففيه بيان ما مضى وما لم يمض منه ، كما أن فيه استدلالا على وقوع الحدث وذلك قولك : قعد شهرين ، وسيقعد شهرين وتقول : ذهبت أمس ، وسأذهب غدا ، فإن شئت لم تجعلها ظرفا ، فهو يجوز في كل شيء من أسماء الزمان كما جاز في كل شيء من أسماء الحدث... الكتاب ج1ص34/35. قلت : وفي كل ذلك دليل على أن الأصل في الفعل التعديّة وإن اختلفت أشكالها ، وأن جميع ما ذكر من أمثلة هناك فيه دليل على ضمنية هذه العلاقة في حالة الإضمار.

وبناء عليه ينكشف جديد الحضور المكثف للفاعل " محدود القوة " (المضعف) على مستوى الجملة الفعلية في النص ، والحضور الضئيل فيها للفاعل مطلق القوة ، وعندما ينتزل هذا المعنى دلاليا على النص من منطلق أسلوبى فإنه يؤشر فقط على مدى التوافق والانسجام بين مبنى النص ومعناه أخذا بعين الاعتبار شكل توزيع نوعى الفاعل على شرائح النص ، فأكبر نسبة لتوزيع " الفاعل محدود القوة " كانت على مستوى الشريحة الأولى والثانية ، وإذا علمنا من مضمون الشريحتين ، ومن حجم الشريحة الثانية المخصصة لوصف الناقاة فهما الغرض من تقييد الفاعل في عملية وصف الناقاة ، وهو إرادة إحضارها في الذهن على سبيل الحقيقة المجسدة .

5.1 . المعاني الوظيفية لمعاني التراكيب الإسنادية الرئيسية وغير الرئيسية :

سبقت الإشارة فيما تقدم من بحث البنى التركيبية إلى أن المعنى الوظيفي للتركيب هو الدلالة المستخلصة من طبيعة العناصر الكلامية التي تشكل الملفوظ ، وطريقة ترتيبها فيه عبر نسق تركيبى يراعى قواعد النحو ، يسمى نمطا .. فعلى المستوى الأول ينقسم التركيب إلى جملة اسمية وفعلية ولكل واحد معنى وظيفي يستقل به ، وعلى المستوى الثانى تتخرج مجموعة لا متناهية من التراكيب المحولة عن وضعها الأصلي لأغراض إبلاغية تتأتى من السياق ، وتُعرف بالأنماط الفرعية الناتجة عن الأنماط الأصلية ، ولكل نمط معنى وظيفي يضاف للمعنى الأصلي .

وبالنظر دائما إلى شكل التركيب فيما يسمى علاقات إسنادية في الجملة الفعلية ، ينكشف لنا معنى وظيفي آخر مستفاد من تحليل علاقة الفعل بالفاعل وفق إطار دلالي ، يعرف بمعنى اللزوم والتعدي ، وهو اقتضاء المفعولية وعدمها في الجملة الفعلية .. ولقد تقدم أن علاقات كالمفعولية والحالية والتفسيرية وغيرها كلها معان مبنية على علاقة الإسناد الجوهر التي تمثل موضوع الكلام من وجهة نظر وظيفية ، وقد آثرت منذ البداية تسميتها علاقات إسناد غير رئيسية لتمييزها عن الأولى ، ولا شك أن لكل واحدة من هذه العلاقات معنى وظيفي مستفاد من الباب النحوي الذي يتسمى به العنصر الحالّ في تلك الجهة من التركيب ، مع التذكير بأنّ كل هذه العلاقات تدرج تحت العلاقة الأم التي تسمى بالتعدية . فإذا كان للعنصر اللفظي في التركيب دور " الحال " فإن العلاقة هي " الحالية " ، وإذا كان متعلقا بدور المفاعيل فإن العلاقة تفيد من ذلك " تخصيصا أو توكيدا أو غاية .. " باختلاف نوع المفعول وأدائه في التركيب ، وينبني على ذلك معان أخرى تتعلق بالأساليب النصية في الواقع التحليلي الذي يبحث عن الظواهر الأسلوبية التي بإمكانها أن تفسر لنا الأسباب المتحكمة في شكل توظيف هذه المعاني ، وهو ما يسعى إلى تحقيقه البحث في هذا الجزء ، ولهذا عنونت له خلافا لما سبق بـ " المعاني الوظيفية لمعاني التراكيب الإسنادية الرئيسية وغير الرئيسية في الجملة " ، وهو بحث في علاقات الإسناد أولا ثم في معانيها الوظيفية ثم محاولة الكشف عن الأبعاد الوظيفية لاستعمالاتها المختلفة في النص .

وقبل الشروع في الخطوة التشريرية من البحث ، يتعين أن أشير إلى أن البحث متوجه إلى رصد كل أنواع علاقات الإسناد ، وأن معاني علاقات الإسناد غير الرئيسية المذكورة آنفا هي معان تحليلية منقولة عن أهل اللغة قديما وحديثا (*) ، أما معنى علاقة الإسناد الرئيسية وهي العلاقة الجوهر التي تبنى عليها سائر العلاقات الأخرى في الإسناد فلم أعتز لها عندهم على معنى وظيفي

وراء مصطلح الإسناد يُفهمُ معنى تحليليا كالذي في علاقات التعديّة الأخرى ، إلا ما كان عند سيبويه من إشارة إلى ذلك في قوله " ألا ترى أن قولك : قد ذهب ، بمنزلة قولك : قد كان منه ذهاب " (1) ، أو من تقديرهم الخبر في الجملة الاسمية الوارد خبرها شبه جملة يفهم معنى " كائن أو موجود " .. وهو معنى مُلتزم في علاقة الإسناد التي تكون بين العمد بشكل عام ، والملاحظ أن تحليل معنى هذه العلاقة في المثال الأول عند سيبويه في الجملة الفعلية هو نفسه في المثال الثاني في الجملة الاسمية ما يفهم أمرين أساسيين هما :

عودة التحليل إلى معنى واحد هو الكون والوجود .

شمول هذا التحليل لعلاقة الإسناد الرئيسية في الجملتين الاسمية والفعلية على حد سواء ، أي المعنى الوظيفي لعلاقة الفعل بالفاعل والمبتدأ بالخبر .

ومن الواضح أن هذه العلاقة المعنوية لا تتفق اللغات على كيفية واحدة لتأديتها . ففي اللغة العربية مثلا يكفي لتأديتها علاقة الإسناد بين ما يسمى بالعمد دون اختيار لفظ مساو لها في التركيب ، وهو معنى قول بن خلدون في وصف الملكة اللغوية الحاصلة للعرب : " وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني " (2) ومنها علاقة الكون والوجود هذه ، ذلك أن معنى الكون والوجود في اللغة العربية مفهوم من علاقة الإسناد نفسها لا نجد له كلمة في اللفظ تدل عليه ، وإنما هو علاقة معنوية محصلة في الجانب الذهني للملكة اللغوية ، بخلاف اللغات الأخرى التي تستعمل صراحة لتوضيحها ، ما يسمى بالأفعال المساعدة ، ومنها في هذا الجانب بالتحديد فعل الكينونة (est / est / to be) في اللغات الهيندو أوروبية .

(*) : ينظر في هذا الشأن عند سيبويه من خلال الكتاب بوجه عام والإمام عبد القاهر الجرجاني في الدلائل من خلال أوجه التقديم والتأخير والحذف وما ينبني على ذلك من معان وظيفية ، وتمام حسان في اللغة العربية معناها ومبناها من خلال الجزء الخاص بالنظام النحوي للغة العربية ، ومثله عند صالح بلعيد في التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني في مبحث الجملة الفعلية على الصفحة 108 .

(1) : سيبويه . الكتاب . ج1ص34 .

(2) : ابن خلدون . المقدمة . ص339 .

ومن هذا المنطلق سأسمي المعنى الوظيفي لعلاقة الإسناد الجوهرية على اختلافها اسمية أو فعلية بعلاقة " الكينونة " ، وقبل الكشف عن هذه العلاقات المتوفرة داخل الأبنية التركيبية للنص ، لا بد من الإشارة إلى أن علاقة الكينونة تمثل نسبة الجملة الاسمية والفعلية في النص ، وأما بحث

العلاقات الأخرى فهو تحليل لكل منها إلا ما يتعلق بعلاقة " التخصيص " المستفادة من معنى المفعولية في التعدية فهو بحث في جملة التعدية الفعلية خاصة ، وقد اكتفيت في تحديد علاقة التخصيص باعتبار المفعول المباشر فقط ، ولم أكرث لمعنى التخصيص الناشئ عن علاقات التعدية غير المباشرة لأن الهدف من ذلك التشریح هو بيان النسبة فقط بعد بيان المعنى .

وإذا كانت نسبة علاقة الكينونة هي نفسها نسبة الجملة الاسمية والفعلية في النص ، فهي علاقة جوهرية قد تكون صالحة مبدئياً للمقابلة بينها وبين معاني العلاقات الأخرى المبنية عليها في التعدية ، وقد عادت السيطرة لمعنى التخصيص في علاقات التعدية المستفادة من المفعول المباشر ثم الحالية والتوكيدية ، وباتت العلاقات الأخرى شيئاً لا يكاد يذكر كالتفسيرية في مثل قوله :

وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجد

والإخراج في مثل قوله :

سفته إياة الشمس إلا لثاته أسفّ ولم تكدم عليه بإئمد

وبرزت في عملية التشریح كل من علاقة التخصيص والحالية والتوكيدية ، كما هو مبين في القوائم التجريدية التالية :

8. القائمة التجريدية لمبنى علاقة التخصيص في الجملة الفعلية :

يقولون لا تهلك	تربعت القفين
ينفض المرء	ترتعي حدائق
أسف	تراعى ربربا
حلت رداءها	يكنفانها
أمضي الهم	لزت بدأي
نصاتها	تكنفا خفافيه
تباري عتاقا ناجيات	حتى تشاد
أتبعث وظيفا	أمرت يداها فتل شزر
تراهما	قلته
تعرف العتق فيها	لم أغفل حمولة معبد
أفديك	أحدثته
قالوا من فتى	فرج كربي

<p>أنظرني غدي ذرني زارني بنون كرام تعرفونه قيل مهلا ابتدر القوم السلاح وجدتني منيعا أثارت مخافتني قال ماذا ترون قال ذروه تكفوا قاصي البرك يمتلن حوارها انعيني لا تجعليني لا يغني غنائي ضرني عداوة ذي الأصحاب حبست النفس استودعته يشق حباب الماء حيزومها قسم الترب تتقي روعات أكلف</p>	<p>خلت أنني عنيت تري ربها أنيال سحل إن تبغني .. تلقني إن تقنتصني ... تصطد تلاقني تحامنتي العشيرة رأيت بني غبراء أحضر الوغى أشهد اللذات لا تستطيع دفع منيتني أبادرها نبهته لم يخضد يروى نفسه ستعلم أينا الصدي أرى قبر نحام تري حثوتين ما أخطأ الفتى يلومني أياسني من كل خير وضعناه</p>
<p>يا ابنة معبد نفى عني الرجال جرائتي يخشى الفتى عنده الردى ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا لم تبع له بتاتا</p>	<p>سامى واسط الكور رأسها أسمعينا أيهذا اللانمي يقذفوا عرضك كفى العود منه البدء</p>

شقي عليّ الجيب	لم تضرب له وقت موعد
----------------	---------------------

9. القائمة التجريدية لمبنى علاقة الحالية :

أرى الموت يعتام الكرام يصطفي عقيلة مال الفاحش أرى العيش كنزا ناقصا كما لا مني في الحي قرط بن معبد حلّ بيتي نائيا عند ضرغد	تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد ... وقد خب آل الأمعر المتوقد وكري إذا نادى المضاف مجنبا قمت منتصرا به يقول وقد ثرّ الوظيف وساقها
---	--

10. القائمة التجريدية لمبنى علاقة التوكيدية :

استودعته كف مجمد ذالت كما ذالت وليدة مجلس أفردت أفراد البعير	.. وقوفا بها صحي .. فطورا به خلف الزميل وتارة على حشف كالشن
--	---

وبناء على معطيات الوضع المتباين لهذه العلاقات من خلال القوائم التجريدية يمكن إعادة صياغتها
مثويا على الشكل التالي :

جدول رقم (5) : تفرع علاقات التعدية باعتبار المعاني :

علاقة التخصيص	علاقة الحالية	علاقة التوكيدية
82.97 %	10.63 %	06.38 %

لا غرو أن تتعاطم نسبة معنى الكينونة في النص وتسيطر على كافة أنواع العلاقات المعنوية المتوفرة في البنى التركيبية ذلك أنها تشكل موضوع الكلام في اللغة بشكل عام ، وموضوع الكلام في كل لغة لا يخرج عن معنى الوجود من زاوية فلسفية ، هو المنطلق والغاية في آن واحد ، ولكن العبرة بما يضاف إليه من معان أخرى ، فلا تسلم المقارنة من العبث في هذا الصدد إذا اعتمدنا مبدأ المقابلة بين الكينونة والمعاني الأخرى لأن الأولى أصل والباقية فروع لها مبنية عليها بالمعنى الاصطلاحي التركيبي المشار إليه سابقا ، وإذا ما أردنا تصحيح شكل المقارنة حتى يسلم لنا التطبيق

المنهجي للمعطيات النظرية يتوجب أن نعتمد على المقارنة بين تلك المعاني الفرعية بعد إضافتها لأصلها في معنى الوجود والكيونة ، وما ينتج عن ذلك من فروق معنوية لها علاقة بالواقع الاجتماعي والفلسفي للنص.. فليس يسلم التحليل إذن بالمقابلة بين معنى الكيونة والتخصيص ، وإنما بالمقابلة بين معنى الوجود المخصص والوجود المكيف والوجود المؤكد .. أي بالنظر في علاقة الوجود باعتبار ما يضاف إليها من قيم مستفادة من معاني العلاقات الإسنادية غير الرئيسية التي تسمى بعلاقات التعدية .

وبالعودة إلى الوضع المتباين لأنواع العلاقات المعنوية المبنية على معنى الوجود من خلال القوائم التشريحية ، نجد أن المقابلة تقتصر على ثلاثة معان أساسية هي التخصيص والحالية والتوكيد . أما التخصيص المستفاد من معنى " المفعول به " على مستوى التحليل في الجملة الفعلية فإنني آثرت تسميته بـ " التحيز " وهو معنى منطقي يوافق معنى التخصيص النحوي ، والمراد من ذلك هو الارتقاء بهذه المعاني إلى الأفق الفلسفي الذي يفرض نفسه في هذه الجهة من التحليل . وأما معنى الحالية فإنني أسميه " التكيف " للغرض نفسه ، وهو معنى مستفاد من باب الحال في النحو ، وأما التوكيدية فأثرت تسميته وفقا للاعتبار السابق بـ " الإطلاق " ، وهو معنى فلسفي يوافق تسمية العنصر الذي يؤدي به هذا المعنى بالمفعول المطلق ، إذ كان مداراً وظيفته على إثبات الكون المؤكد من جميع الوجوه .

وانطلاقاً من هذه المفاهيم الجديدة نكون إزاء ثلاثة أنواع من الوجود هي : الوجود المحيز ، والوجود المكيف ، والوجود المطلق ، يسيطر معنى الوجود المحيز على عنصر التكيف ثم يأتي عنصر الإطلاق في أضعف صورة له ، تكاد لا تكون شيئاً ، ولكل ذلك مبررات فنية واجتماعية على مستوى النص الذي كان عنصر الحدث فيه مادياً بالدرجة الأولى اتخذ له حيزاً مادياً يتسم بالمناسبة ، ما يفسر شيوع علاقة التخصيص في معناها " التحيزي " المنبثق عن نزعة مادية ضيقة لا تعرف لها تجربة خارج الحيز المادي للقبيلة ، بالإضافة إلى عامل توزيع معنى " التحيز " في النص الذي استأثرت بها الشريحة الثانية المخصصة لوصف الناقه، وما كان لها من صفات وحركات محدودة ، ما يفسر تراجع معنى التكيف والتوكيد في الشريحة الأولى وانحصارهما بشكل عام في الشريحة الأخيرة المخصصة للتأمل والمواقف، إضافة إلى ضيق التجربة الفنية المختزلة في " حيز " اللذة الحسية المنغمسة في ظاهر الأشياء ، لأن عنصر التكيف والإطلاق لا يتأنيان إلا مع نزعة فلسفية ضاربة في عالم أوسع من عالم التجربة الحسية . ولعل مقارنة بسيطة بين النصوص القديمة

والحديث تكشف عن المعنى نفسه في أسباب تعاضم نزعة التكيف على مستوى النصوص الحديثة ،
وتراجعها في النصوص القديمة .

6.1. المعاني الوظيفية للتركيب غير الإسنادية :

* التركيبي الوصفي والإضافي :

تنقسم التراكيب في اللغة العربية إلى قسمين باعتبار توافر شرط الإسناد فيما بين كلمتين صالحتين لهذا الغرض ، هما التراكيب الإسنادية والتراكيب غير الإسنادية ، وقد تمّ توضيح الأولى في المباحث السابقة من هذا الفصل . أما غير الإسنادية منها فما لم تتوفر فيه الشروط الإسنادية وأفاد معنى جزئياً ينضاف إلى المعنى الأصلي في علاقة الإسناد الجوهرية التي يسميها النحاة بالنسبة الكلية ليفرقوا بينها وبين ما ينضاف إليها من معانٍ تحصل من التكميلات ويسمونها " النسبة الجزئية والفرعية أو " القيد " (1) وتشمل النسبة التقييدية بهذا المعنى كل ما هو مبنيّ على جوهر الإسناد من معاني المفعولية والحال والإطلاق والغاية والتوكيد والوصف والإضافة، وقد تم الحديث عن هذه العلاقات عدا الإضافة والوصف في العنصر المنصرم من بحث العلاقات الإسنادية ، واعتبارها علاقات إسنادية غير رئيسية وذلك من منظور وظيفي ، يأخذ بعين الاعتبار علاقاتها بالعناصر الجوهرية في التركيبي ، ومنها المبتدأ والخبر والفاعل في الجملة الفعلية . أمّا التركيبي غير الإسنادي فعبارة عن إضافة اسم لاسم آخر لا يصحّ معهما إفادة مسند ومسدّد إليه تركيبياً ، ولا خبراً ومخبراً عنه من الناحية الدلالية ، ولكن معنى جزئي في النسبة التقييدية ، ويشمل جملة من التراكيب كالتركيبي الوصفي والإضافي والعدي والمزجي ، والمقصود من هذه بالدراسة من خلال النص هو التركيبي الوصفي والتركيبي الإضافي .

والوصفي نسبة إلى الوصف ، كما أن الإضافي نسبة إلى الإضافة ، والوصف من الصفة يعني ما يفيد الموصوف من ملابسات خلقية وخلقية حسيّة أو معنوية يكون بها معروفاً ، فلا يقتصر على الصفة بمعناها النحوي ولكن يشمل كلا من النعت (الصفة) والبدل وعطف البيان والتوكيد ، لأن كلا منها يتحقق فيه دخول اسمين في التركيبي لغير الإسناد وإفادة نوع من الوصف يتعرّف به الموصوف في النسبة التقييدية . أما الإضافة فمعنى تركيبى ملحوظ من شكل التداخل في الاسميين الذين يحققان بفعل تركيبهما الخاص معنى جزئياً خاصاً داخل ما يسمّى بالنسبة التقييدية أو النسبة الفرعية ، أما في اللغة " فهي الإمالة ، ومنه ضافت الشمس نحو الغروب مالت .. وفي الاصطلاح

(1) : عباس حسن . النحو الوافي . ج3 هامش ص1 .

نسبة تقييدية بين اسمين توجب لثانيهما الجر ، فخرج بالتقييدية الإسنادية نحو : زيد قائم ، وقام زيد ، وبالأخير (الجر) الوصف (التركيب الوصفي) نحو : زيد الخياط " (1) ومثاله آثار المدينة فيسمى الجزء الأول من التركيب مضافا والثاني مضافا إليه " ويطلق عليهما معا المتضايقان " (2) وتنقسم الإضافة إلى قسمين " محضة وتسمى معنوية أو حقيقية وغير محضة وتسمى لفظية أو مجازية " (3) ، وهم " يريدون بالمحضة التي بين طرفيها قوة ارتباط واتصال " (4) بفعل الملايسة الحقيقية بين المضاف والمضاف إليه في مثل قولنا : أنف الناقة ، وأما اللفظية فما كان الارتباط بين طرفيها ضعيفا صائرا إلى التلاشي لتضايقهما على نية الانفصال لا الاتصال في مثل قولنا : جاء حسنٌ الوجه .. فالإضافة في " حسن الوجه " ضعيف اتصالها ، ظاهر انفصالها من تقدير ضمير مستتر للوصف ، يفصل بين المضاف والمضاف إليه ، وهذا النوع من الإضافة يكون غالبا في المشتقات الوصفية وقد تلتبس به بعض المصادر في الإضافة .

ويعتبر هذا التفصيل النظري مقدّمة لتوضيح الاعتبارات التي يعتمد عليها بحث التركيب الإضافي والوصفي في رصد نسبة كل منها . فعلى مستوى التركيب الوصفي اعتبرت كل اسم ينضاف إليه اسم آخر في النسبة التقييدية ، يستفيد منه توصيفا مطلقا ، تركيبا وصفيا ، سواء أكان نعتا ، عطف بيان ، بدلا أم توكيدا . وأما التركيب الإضافي فقد اقتصر فيه على الإضافة المحضة وألغيت غير المحضة من التحليل كالمشتق المضاف ، كما أسقطت المصادر المضافة لندرتهما وعدم تحقق القصد فيهما من الدراسة ، وظل الاهتمام منصبا على الإضافة المحضة بشقيها الحقيقية والمعنوية التي تحقق الغرض من الدراسة .

وفي الخطوة التشريرية اتضح أن التركيب الإضافي ظل يسيطر على كيان التراكيب غير الإسنادية في النص بالمقارنة مع نسبة التركيب الوصفي ، فقد بلغ عدد التراكيب الإضافية خمسة

(1) : السيوطي . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع . ج2ص411.

(2) : عباس حسن . النحو الوافي . ج3ص2.

(3) : المرجع نفسه . ص3 .

(4) المرجع نفسه . هامش ص3

وثمانين تركيباً بينما انخفض عدد التراكييب الوصفية إلى اثنين وأربعين تركيباً ، كما هو مبين في

القوائم التجريدية لكل منهما ::

11. القائمة التجريدية لمبنى التركيب الوصفي :

ربع ردي	عوجاء مرقال
البيت الرفيع	جمالية وجناء
البعير المعبد	سفنجة تبري
الطراف الممدد	عتاقا ناجيات
شربة كميت	أكلف ملبد
الطراف المعمد	حشف ذاو
نحّام بخيل	دأي منضد
صفائح صمّ	مرفقان أفتلان
صفيح منضد	دالج متشدد
الفاحش المتشدد	سقيف مسند
كنزا ناقصا	جنوح دفاق
الطول المرخي	مُعالي مصعد
رمس ملحد	بنائق غرّ
الحسام المهّد	قميص مقدّد
مال كثير	أتلع نهّاض
بنون كرام	أروع نبّاض
الرجل الضرب	أحدّ مللم
عضب رقيق	صفيح مصمّد
شارب شديد	أعلم مخروت
السديف المسرهد	آل الأمعز المتوقد
أصفر مضبوح	سحل ممدّد
.....	الحي الجميع

قتل شزر	برقة تهمد
كتفاها	باقي الوشم
عضداها	ظاهر اليد
علوب النسع	خدوج المالكية
دأياتها	خلايا سفين
ظهر قردد	سفين ابن يامن
سكان بوصي	حباب الماء
حرف مبرد	حيزومها
قرطاس الشامي	أطراف البرير
سبت اليماني	حرّ الرمل
كهفي حجاجي	إياة الشمس
صخرة قلت	لثاته
قلت مورد	رداءها
سمع التوجس	ألواح الأران
مرداة صخر	حدائق مولى الأسرة
واسط الكور	صوت المهيب
رأسها	روعات أكلف
ضبعيها	جناحي مضرحي
نجا الخفيدد	بابا منيف
صاحب	طي محال
وليدة مجلس	خلوفه
ربّها	كناسي ضالة
أذيال سحل	أطر قسي
حلقة القوم	قنطرة الرومي

رأس الحيّة	ذروة البيت
كشحي	نداماي
أخي ثقة	صوتها
واديها	صوتها
ذات خيف	لذتي
عقيلة شيخ	طريفي
ساقها	متلدي
حوارها	بني غبراء
أهله	عيشة الفتى
ابن معبد	سيد الغضا
همّه	حياته
همّي	قبر نحّام
مشهدي	قبر غويّ
نهاري	كل خير
ليلي	حمولة معبد
عوراته	عرضك
حواره	كأس حياض الموت
وقت موعد	ذوي القربى
.....	ذا مال

وانطلاقاً من الوضع المتباين للتركييب غير الإسنادية من خلال القوائم يمكن إعادة صياغة النسبتين
مئويًا على الشكل التالي :

جدول رقم (6) تفرع مبنى التركيب غير الإسنادي من حيث الوصف والإضافة .

التركيب الإضافي	التركيب الوصفي
66.92 %	33.07 %

انطلاقاً من الوضع المختلف لنوعي التركيب من خلال العملية التشرّحية يمكن الوقوف على مجموعة من الحقائق الفنية والنفسية ، التي لها صلة وثيقة بواقع النص من حيث اختيار الأبنية فيه وتوظيفها بحسب الأغراض الإبلّغية المتوفرة لمضمون الأبنية الفكرية التي تحدد الأطر العامة للنص . فالتركيب الوصفي يفيد معنى جزئياً في النسبة التقيدية ، ذو وظيفة " بيانية " بالمعنى الشامل لوظيفة التركيب الوصفي ، وهي وظيفة لا يخلو منها كلام ، ولا تجد لغة تخلو من بنية تؤدي هذه الوظيفة ، ولقد تراجعت نسبة معنى البيان المستفاد من التركيب الوصفي في بنية التركيب غير الإسنادي أمام حضور مكثف للتركيب الإضافي ، ولعل ذلك يعود لأسباب منها :

أن نسبة كبيرة منه تم إحصائها ضمن التراكيب الإسنادية الاسمية ، وقد كانت نسبة الجمل الاسمية فيما تقدم أضعف من نسبة الجملة الفعلية ، بينما أخذت أغلب التراكيب الإضافية من الجملة الفعلية التي كانت أكثر حظاً من الاسمية في البنية الجُمليّة . وكذلك دخول معنى التركيب الوصفي في مفهوم البيان الذي يستوعب كثيراً من العلاقات النحوية ، كالتّي تم تحليلها في العنصر السابق ، ومن ثم فهو جزء من منظومة " شمولية " يمكن القول بأنها قد حققت نوعاً من التوازن على مستوى حضور معاني هذه المنظومة ، وعودت غياب كثير من المعاني التي أشير إليها في العنصر السابق كالغاية والتفسيرية والإخراج وغيرها ممّا كان حضور معناه ضعيفاً أو منعدماً ، ولكن لحضورها القوي ، قياساً بالمعاني السابقة ، تبرير من واقع النص الذي سيطرت عليه النزعة الوصفية التي استأثرت ببنيّتين فكريّتين للنص هما الشريحة الأولى والشريحة الثانية ، إذ الملاحظ أثناء عملية الجرد أن التركيب الوصفي بمعناه النعتي يكثر في الشريحتين المذكورتين ويتقلص في الأخيرة لحساب التركيب الوصفي بمعناه البياني والتوكيدي والبدلي ، وذلك مراعاة للمضمون الإبلّغي الذي يقتضيه سياق كل شريحة ، ومن المؤكد أنّ التركيب الوصفي بمعناه البياني الشامل وبشكل توزيعه في البنية التركيبية للنص ، قد أسهم بشكل كبير في انسجام المضامين الإبلّغية مع الظواهر اللغوية ، وما يُمكن ملاحظته على التركيب الوصفي بهذا الاعتبار هو اقتصار معناه البياني على المحسوسات ، إذ كثيراً ما كانت معانيه تستخلص من عناصر جامدة مستخلصة من البيئة الصحراوية المنكفئة على حدودها القبلية ، ولما كان التركيب الوصفي عبارة عن تجميع اسمين وكانت الأسماء التي شكلت البنية الاسمية للنص أسماءً جثية جامدة في أغلبها وفقاً لمعطيات تحليل المبنى الاسمي في البنية الصرفية ، فقد صار دخولها في التراكيب بمثابة تقرير للنزعة الماديّة المُعبّرة عن حسيّة التجربة الفنية للشاعر الصحراوي .

أما في مستوى التركيب الإضافي فالظاهر أن قوة الحضور المشهودة له على حساب التركيب الوصفي تعود إلى الاعتبارات المذكورة مع التركيب الوصفي ، ولكن انقسام معنى الإضافة باعتبار المضاف إلى جملة من المعاني الرئيسية ، يدفعنا إلى التعامل مع التركيب الإضافي بصورة نستنتق من خلالها أسباب تعدّد هذه المعاني الوظيفية على مبنى الإضافة الواحد ، لمعرفة العوامل المتحكمة في توزيع هذه المعاني المتعددة ، وما تحمله من دلالات نفسية واجتماعية هي جزء من واقع ما أسميناه سابقا بالشخصية الفنية للنص .

إن المضاف مع المضاف إليه يكتسب منه تعريفاً أو تخصيصاً ، وعنصر التعريف في مبحث الدلالة الصرفية كان قد أسقط وعياً من حيز التحليل أثناء الحديث عن دلالات الاسم المعرف ، وكان الإقتصار على المعرف بـ " أل " ، أما معنى التخصيص المراد من التركيب الإضافي فمعناه أن يختص المضاف بالمضاف إليه بنوع من أنواع الاختصاص المعبر عنه بحرف من حروف الجر يفهم ذلك النوع من الاختصاص ، لوجوب " اشتمال الإضافة المحضة على حرف جر مناسب ، اشتمالا ، أساسه التحليل والافتراض ، وأن يكون أحد ثلاثة أحرف أصلية هي : من ، في واللام " (1) ولهذا " جرى الاصطلاح النحوي عند اختيار حرف منها أن يذكر اسم ذلك الحرف فيقال : الإضافة على معنى من ، والإضافة على معنى في ، والإضافة على معنى اللام " (2) ، وهم يريدون بذلك إكساب الاختصاص معنى الحرف الذي تشتمل عليه الإضافة اختياراً في أغلب الأحوال . فالإضافة على معنى " من " تفيد أن المضاف بعض المضاف إليه ، والإضافة على معنى " في " تفيد أن المضاف مطروف للمضاف إليه ، والإضافة على معنى اللام تمليك المضاف للمضاف إليه ، وتخصيصه به ، والحقيقة أنّ هذه المعاني مستفادة من تحليل المباني الصرفية للحروف ، لأن التبويض معنى من معاني حرف " من " ، والظرفية معنى أصلي للحرف " في " ، وكذلك التمليك والاختصاص في حرف اللام " ، وإنما انحصر الاختيار في هذه الثلاثة

(1) : عباس حسن . النحو الوافي . ج3 ص16 .

(2) : المرجع نفسه . ص18

دون غيرها لأنها أقدر على تحقيق الغاية المعنوية " (1) ، وعندما يقال في وجه من وجوه التحليل إن المضاف يكتسب من المضاف تعريفاً أو تخصيصاً ، فمعناه التخصيص بالجزئية (البعضية) أو الظرفية أو الملكية " لأن الغالب في اللام أن تكون لبيان الملك والاختصاص " (2) .

وللوقوف على بعض الدلالات والمعاني المترتبة على تعدد المعاني الوظيفية على مبنى الإضافة باعتبار اختيار حرف الجر المناسب لمعنى التخصيص في الإضافة ، لابد من إعادة تجريد مبنى الإضافة مرة أخرى حسب المبدأ المذكور ، والذي سيطلعنا على وضع جديد في مبنى التركيب الإضافي يسيطر فيه معنى الملكية بحجم من التراكيب بلغ ثمانية وخمسين تركيباً ، يتلوه معنى التبعية بعشرين تركيباً ، ليحتفظ معنى الظرفية بأدنى مستوى له ، مقدر بتسعة تراكيب إضافية على معنى " في " كما هو مبين في القوائم التجريدية التالية :

القائمة التجريدية لمبنى الإضافة التبعية :

حرف مبرد	باقي الوشم
سمع التوجس	ظاهر اليد
مرداة صخر	حباب الماء
واسط الكور	أطراف البرير
أذيال سحل	إياة الشمس
ذروة البيت	ألواح الأران
سيد الغضا	طي محال
كل خير	أطر قسي
كأس حياض	قتل شزر
حياض الموت	علوب النسع

(1) : عباس حسن . النحو الوافي . ج3 ص17.

(2) : المرجع نفسه . ص20.

ربها	خدوج المالكية
حلقة القوم	سفين بن يامن
نداماي	حيزومها
صوتها	لثاته
صوتها	رداءها
لذتي	حدائق مولى الأسرة
طريفي	صوت المهيب
متلدي	روعات أكلف
بني غبراء	جناحي مضرحي
عيشة الفتى	بابا منيف
حياته	خلوفه
قبر نحام	كناسي ضالة
قبر غوي	قنطرة الرومي
حمولة معبد	كتفاها
عرضك	عضداها
ذوي القربى	دأياتها
ذا مال	ظهر قررد
رأس الحيّة	سكان بوصي
كشحي	قرطاس الشامي
أخي ثقة	سبت اليماني
ذات خيف	رأسها
عقيلة شيخ	ضبعيها
ساقها	نجاه الخفيدد
حوارها	صاحبي

نهاري	أهله
-------	------

ابنة معبد	ليلي
همّه	عوراته
همّي	حواره
مشهدي	وقت موعد

14. القائمة التجريدية لمبنى الإضافة الظرفية :

برقة تهمد	قلت مورد
حر الرمل	وليدة مجلس
كهفي حاجي	واديها
صخرة قلت

واستنادا إلى معطيات القوائم التجريدية يمكن إعادة صياغة النسب مؤبيا على الشكل التالي :

مبنى الإضافة التبعيضية	مبنى الإضافة التمليلية	مبنى الإضافة الظرفية
23.52 %	68.23 %	08.23 %

أمام هذه النسب المختلفة لتداول المعاني الوظيفية على مبنى الإضافة الواحد ، يمكن ردّ غلبة معنى التمليلك إلى عوامل نصيّة ، وأخرى نفسية ترتبط بالواقع الاجتماعي الذي شهد إنتاج النص . فأما العوامل النصيّة فإن المحمول الإبلاغي لكل شريحة من شرائح النص الثلاث قد كان له دور أساسي في توجيه هذه المعاني وتوزيعها بشكل يحقق الغرض الإبلاغي لكل شريحة ، ففي مضمون الشريحة الأولى والثانية يشيع معنى التمليلك ليحقق به صورة قويّة البنية ، منسجمة الأجزاء ، كاملة الأوصاف هي صورة الحبيبة مرّة ، وصورة الناقّة مرة أخرى ، ولهذا كان شيوع معنى التمليلك في هذه الشريحة قويا ليحقق به الغرض من العملية الإشهارية للناقّة النموذجية .

واللطيف في هذا الباب هو انسجام معنى التمليلك في التركيب الإضافي مع معنى التمليلك والاختصاص الذي سيطر على حرف اللام ، على مستوى الشريحة الوصفية أثناء تحليل المعنى الوظيفي للمبنى الحرفي في الفصل الثاني ، ما يؤكد توازن النص من خلال تضافر الأبنية الدالة فيه

خدمة لوحدۃ الموضوع معنۃ ومبنى ، والتي تدل من جهتها على وحدة الذات المبدعة واستبعاد مقولة التشارك .

ولعل من الأسباب النفسية لاختيار معنى التمليك في التركيب الإضافي كثافة النزعة المادية الراجبة في التملك، والمطالبة بحق الملكية الضائعة فيما استأثر به عمومة الشاعر من إرث والده غصبا، وقد يتقوى هذا الاعتقاد مع تحليل طبيعة المضاف والمضاف إليه، فهو في أغلب صور الإضافة ياء المتكلم أو هاء المذكر الغائب التي يعني بها نفسه في معرض " الالتفات " أو هاء المؤنث التي تعود على الناقۃ التي يضيفها لنفسه، وجميع ما خرج عن ذلك يعود إلى هذا الاعتبار بتدقيق النظر، الأمر الذي يهيئ للحكم بأن ضمير الأنا هو المعنى المحوري الذي تدور حوله كل معاني النص.

وعندما يعترض الشاعر على السلوك العائلي والقبلي فإنه يحس بنوع من الانفصال غير المرغوب فيه ، ولهذا كنا نسجل نوعا من التمرد العاقل في ثورة " طرفة " حين يلتمس الإصلاح لوضعه المتأزم في القبيلة بتلك الأساليب الإفصاحية المتمثلة في الحيرة والعتاب ، خلافا لما يشيع لدى الصعاليك من معاني ثورية وأساليب تعبيرية ، وفي الوقت الذي يُحسّ فيه الشاعر بهذا الانفصال غير المرغوب فيه وبفشله في تحقيق التواصل المرغوب مع أفراد المجتمع ، تتجلى آثار تجدد هذه الرغبة في الصورة اللفظية بطريقة لا واعية في ذلك النوع من التركيب الإضافي الذي يقوم على قوة الاتصال بين أفراد المضاف والمضاف إليه .

إن بنية الإضافة في نص " طرفة " هي صورة غير واعية لآثار رغبة الاتصال المهزومة ، لأسباب اجتماعية لا يفتأ النص يبوح بها في أكثر من موقف ، ولهذا تشيع الإضافة المحضة في النص شيوعا لا مثل له ، من حيث شكلها ومعناها ، في نصوص أخرى من الحقبة الأدبية نفسها أو من خارجها ، حتى غدت سمة أسلوبية للنص كثيرا ما أضفت عليه نوعا من التعقيد اللفظي كما صرح بذلك الدكتور محمد صديق بشير في معرض تحليله لأساليب المعلقة وسماها حينذاك ثقلا في أبيات المعلقة عزاه لتتابع الإضافة (*) .

ولكن الذي اخترته من التحليل بصرف النظر عن هذا التعقيد اللفظي يفيد بأنه ، لما كانت الرغبة في الاتصال بالمجتمع هي عقدة الشاعر في البنية السلوكية ، كانت الإضافة الاتصالية هي عقدة النص في البنية اللفظية .

(*) : سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل النظري ص 23.

فيما تقدم من الفصل الثالث ، هو بحث في المعاني الوظيفية للبنى التركيبية داخل النص من منظور سياقي يعتمد على رصد دلالة المبنى من خلال تضافر القرائن السياقية ، واعتماد هذه النظرة في التحليل يعتبر تكريسا لمعطيات الرؤية الصرفية التركيبية (morphosyntaxique) (*) ، في علم المعاني ولهذا ترسخ في أكثر من مرة خرق القاعدة النحوية التي كانت المنطلق الأساسي في جملة البيانات الإجرائية التي يعتمد عليها البحث كما كان التعامل مع الأفعال في بنية الجملة الاسمية والفعلية ، حيث عطلت نسبة كبيرة منها عن الدلالة على الحدث المقصود لذاته وألحقت بالوصف من حيث كان الوصف مقصودا بها في السياق ، وكذلك تم التعامل مع مفهوم التعدية واللزوم في الجملة الفعلية حيث علقت العمل بمفهوم التعدية التركيبي ، وقصرته على مفهومها الدلالي فأفرزت هذه الرؤية مفهوما جديدا في التعدية وشكلا آخر في المقارنة ، هو الفاعل المقيّد (المُضَعَف) والفاعل المطلق في مقابل اللزوم والتعدية .

ويُعدُّ خرق القاعدة النحوية بهذه الصورة مظهرا من مظاهر مرونة القاعدة النحوية التي لا تعارض فيها بين نحو اللغة ونحو الكلام المبرر الأساسي في خرقها ، وعندما يقال خرقها فهذا لا يعني إلغاءها أو تعليق العمل بها وإنما هو النظر في مصدرها الأوسع وحشد جميع الاعتبارات الصرفية والتركيبية والدلالية لتقويمها حتى تستوعب بشكلها الجديد مظاهر التشكل اللغوي في جديد الكلام ، الذي يقوم على مبدأ خرق السنن بوصفه نشاطا فرديا يتمتع بحرية التلاعب بشكل القاعدة .

وقد أفرزت معطيات بحث البنى التركيبية جملا من الحقائق منها ما يتعلق بانسجام معنى النص بمبناه اللغوي ، ومنها ما له علاقة بالواقعين النفسي والاجتماعي ، يعود بنا إلى الأصل الجماعي للنص ، وباستقراء نتائج التحليل على طول الفصل يمكن إيجاز هذه النتائج فيما يلي :

بتحليل مظاهر البناء اللغوي في للتركيب الاسمي والفعلية في الجملة الاسمية والفعلية أعطت النسبة العالية لتوافر الأسماء في الجملة الفعلية والأفعال الراجعة إلى معنى الصفة في الجملتين الاسمية والفعلية دعما قويا لرسوخ النزعة السكونية في النص والتي حققت الغرض الوصفي له

(*) : اقترح هنا لفظة " صركبية " لوصف الصرفية التركيبية فيما تتيحها الإمكانيات الاشتقاقية والقياس عليها في اللغة العربية ، اختصارا للوصف الطويل ، ودرء لمغبات التعريب المباشر للمصطلح .
ودلت على نوع من السلوك الهادئ القائم على فلسفة التأمل في استحضار الأشياء لدى الشاعر وكرست مقولة عنصر الحكمة في شعر " طرفة " ، بتخافت عنصر الاضطراب فيه .

وفي تحليل بنية الأنماط الأصلية والفرعية لنوعي الجملة كانت سيطرة الأنماط الأصلية مؤشرا على بساطة الأغراض الإبداعية وصورة واضحة لانعكاس الحياة النمطية في الصورة اللفظية ، وقد انسجم مع هذه المعاني ما ترتب عن تحليل المعاني الوظيفية لجملة اللزوم والتعدي في بنية التركيب الإسنادي الرئيسي وغير الرئيسي في الجملة الفعلية ، أما الحضور المكثف لمعنى الوجود المحيز فقد دعم انسجام النص من حيث الشكل والمضمون ومطابقة المعنى للمبنى فيه ، كما قرر النزعة المادية التي غدت كل معطيات التحليل دليلا عليها كما تدل على ذلك النتائج المترتبة عن تأويل وفرة معنى البيان الذي أسس بالإضافة إلى ذلك نوعا من التوازن في المنظومة الشمولية للمعاني التقييدية المبنية على علاقة الإسناد الأصلية .

أما جديد المعاني المحصلة بتأويل النتائج المترتبة عن تحليل المباني التركيبية غير الإسنادية فقد كشف عنه الاستعمال المميز للإضافة (التركيب الإضافي) الذي ظل اهتمام كثير من الدارسين للمعلقة ، حيث أدت كثرة الإضافة إلى خلق نوع من التعقيد اللفظي أضحى سمة أسلوبية على النص ، هي في الواقع صورة لا واعية لآثار الانفصال الاجتماعي في القبيلة عند الشاعر ، وفي تفرع المعنى الاتصالي للإضافة باعتبار معاني حروف الجر المفترضة ، لوحظ انسجام معنى التملك في الإضافة مع معنى الملك والاختصاص في المعاني الوظيفية لمباني الحروف ، في مباحث البنى التصريفية ، كما كرس النزعة المادية في صورتها التملكية التي تحاول استعادة أشياء ضائعة .

والملاحظ من كل ما تقدم من نتائج ترتبت عن تحليل المباني التركيبية أن هذه المعاني متوافقة ، منسجمة مع المعاني التي تمخضت عن تحليل المباني الصرفية ، ولا يستبعد نظريا أن تؤدي نتائج تحليل المباني الصوتية والدلالية إلى نفس النتائج التوافقية تفضي إلى بنية تكاملية لا تعارض بين واحد من هذه المستويات إلا أن التحقق من هذا الأمر يجب أن يكمل بجهد إضافي يحترم المبادئ النظرية والوجهة التطبيقية المنتهجة في تحليل المباني الصرفية والتركيبية في التحليل .

وليس مزعوما لهذه الدراسة وما كشفت عنه من معاني هي نتاج التحليل والتأويل ، اصطلاح عليها بالشخصية الفنية للنص أن تلغي القراءات السابقة أو المرتقبة ، أو تقلل من شأنها وإنما هي إضافة فكرية تتحسس لها موقعا بين كل القراءات من منطلق التكامل لا التعارض .

الخاتمة

الخاتمة :

مهما اختلفت أشكال التحليل التي تستهدف الخطاب اللغوي إلا أن البحث عن دلالات ذلك الخطاب تبقى الغاية المقصودة من كل تحليل ، ليصبح ذلك الاختلاف إثراء للمنهج الذي يبحث في دلالة الخطاب . وفي كل مرة نبحت فيها دلالة ذلك الخطاب مستعينين بمنهج من المناهج التحليلية لغويا كان أو غير لغوي يسمى ذلك العمل " نقدا " بصرف النظر عن مفهوم النقد ، ولكن بالاحتكام إلى الغاية التي ينشدها التحليل في جميع صورته ، ولما كان النقد في جميع صورته على حد قول دريدا هو نقد " بنيوي بفعل جوهر وبفعل مصير " فإن النقد البنيوي اللغوي الذي يُعبّر عن الوجهة المتبعة في الدراسة هو ما تسعى فيه البنيوية كما نقل "الغذامي" عن " ليتش" إلى " معالجة العناصر بناء على علاقاتها وليس على أنها وحدات مستقلة ، وإلى استكشاف البنى الداخلية اللاشعورية للظاهرة " اللغوية .

فالنص من وجهة نظر لسانية " مشروع داخلي ترجم في رموز " ذات طبيعة علامية منسجمة فيما بينها يؤلف بين عناصرها علاقات نمطية ، تستحيل إلى وحدة شكلية متحدة الأجزاء تؤسس لخطاب من نوع ما هي دوالّ عليه ، والبحث في عناصر ذلك الخطاب يكتسب قيمته من تحليل عناصره الشكلية التي تمثل كل وحدة منها جزء منه بدء بأصغرها تركيبا إلى أعقدها توزيعا وتأليفا في السياق .

ومن الناحية الأسلوبية يطرح مفهوم الترتيب النمطي للعلامات اللغوية وفق بناء ما مسألة الأسلوب ومكوناته الدالة على تميزه وانحيازه لجهة ما من أنواع النصوص ، ولا يشكّل من الناحية الدلالية تطبيق معطيات المنهج اللغوي على النصوص ذات النمط العادي بالشكل الذي يضيق ذلك المنهج عندما يتعلق الأمر بالنص الأدبي الذي يرفض التمركز في علاقات الارتباط العادي لعناصر اللغة، حيث تكون اللغة في الأول وسيلة بينما تكون غاية أكثر منها وسيلة في الثاني.

يقول رولان بارت "إن النص الأدبي علامة ذات دلالة " والبحث في علاقات هذه العلامة في إطار المنهج اللغوي التجريدي لا يمكن أن يكشف عن كل العلاقات المتحركة في إنتاج العلامة الأدبية لأنها علامة إفرازية لمجموعة من العلاقات الإنتاجية ، وهو المستوى الذي لا يصله المنهج اللغوي التجريدي ، حيث يكتفي بالنظر إلى العلامة الأدبية في مستوى الدال والمدلول للكشف عن أدبية النص التي هي نتاج تركيبته الألسنية ، وإذا كانت العلامة اللغوية عند دوسوسير هي " أدكى العلامات الأخرى " فإنني أجد العلامة الأدبية هي أدكى العلامات اللغوية ، وفي وصفه لطبيعة

الملايسة الحاصلة بين المعرفة اللغوية وغير اللغوية في تحليل النصوص ، يقول كيولر : " ولكي يقرأ المرء الأدب ويفهمه حقا عليه أن يعرف شيئا أكثر من معرفة اللغة التي بها يكتب ومن الصعب جدا تحديد بدقة ما المعرفة المكملّة المطلوبة لإيجاد تفسير مُرضٍ للأعمال الأدبية " .

فالمعرفة اللغوية وحدها لا تستطيع أن تكشف عن كل العلاقات المتحكمة في إنتاج العلامة الأدبية إذ كثيرا ما يتقرّم النص على نفسه في الآلة التشريحية اللغوية التي تتعامل معه كجثة يحكمها شكل يحمل عناصر جمالية عن لغة النص .

إن المساءلة الواعية للنص الأدبي تفرض مجموعة من الإجراءات المعرفية المساهمة في إنتاج النص ، بوصفه حدثا شرعيا غير مستقل الوجود بالمعنى المطلق ، وهي معرفة ذات طبيعة تراكمية تنكشف بها الشفرة تدريجيا ، يسميها الغذامي " السياق " ولها دالتان هما السياق الثقافي والسياق اللغوي المقصود بالمعرفة اللغوية ، ثم مجموعة أخرى من الإجراءات المعرفية ذات طبيعة تحليلية قد تكون تأويلا تبرّر مجموع هذه المعارف على مستوى الناتج الأدبي للنص بوصفه كيانا لمجموعة من القيم الحيّة . وإذا حصل شيء ما من هذه المعارف فإنه يتعين على مستوى مساءلة النص أن يُحدّد البعد الوظيفي للعملية التحليلية النقدية تقويما أو توجيها أو تفسيرا ، وفي نظري أن أفضل الأعمال التحليلية ما كان تفسيرا مقاربا لجماليات النص ، وإذا هو تجاوز معرفة الجماليات إلى استكشاف البنى اللاشعورية في الظاهرة اللغوية ، فلا بد أن ينطلق من اللغة نفسها غير مُتجنّ على أبعاده وقيمه الحقيقية المودعة في اللغة ، أو مغرقا في قراءات توجيهية لا تحتملها روح النص .

على أن صاحب التحليل إذا حدّد وجهته في المقام الأول ، سيجد نفسه مضطربا أمام متطلبات المنهج ، والحديث عن المنهج رقم صعب في المعادلة التحليلية ، وهذا راجع إلى طبيعة النص الإبداعية التي تشغل تداعياتها كل المساحات المنهجية ويضيق لها المنهج الواحد . ولعل أهم قول يُنقل في هذا السياق للأستاذ عبد الملك مرتاض " إن المنهج في تشريح النص الأدبي هو اللامنهج " وقد كان يستقيم له القول أكثر لو قال مكان التشريح تفسيرا، لإبعاد شبح النزعة الشكلية التشريحية التي قد تحجب عنا الرؤية الشاملة لحقيقة النص الأدبي ، لأن مقولة التشريح تنطوي على مضمون تجزيئي للنص، لا ينظر للنص إلا من خلال العناصر المستقلة ، متجاهلا علاقاتها وما ينتج عنها في الرؤية الكلية .

توصف المعرفة اللغوية في العملية التحليلية بأنها معرفة ذات كفاءة عالية ، وهي أهم المستويات المعرفية الأخرى ، وقد تكشف بنفسها عن بعض المستويات المعرفية الأخرى لكنها ليست بكافية

وحدها كما أنها لا تلغي المعارف المكملّة الأخرى بدء من معرفة تداخل السياقات المفترزة للنص ومعرفة الذات النصية بوصفها محورا في العملية الإبداعية تبعد وسط مجموعة لا متناهية من التدايعات الكونية تختار بحرية علاقتها المنظمة لعناصر الوجود ورؤيتها لهذه العناصر ثم تختار الشكل الإبلاغي لرسالتها عن هذا الوجود الذي تحاول أن تفرض سيطرتها عليه.

يقول الأستاذ عبد الملك مرتاض عن النص الأدبي " هو نصّ لا ندرسه لأنه يمثل صاحبه الذي فرغه من عالمه اللفظي فبلغ به رسالة أدبية ، ولا لأنه يتيح لنا معرفة المحيط الذي كتب فيه ولا لأنه يُصوّر عهدا زمانيا معينا .. نحن لا ندرس النص إلا على أنه حقيقة أدبية مشروعة الوجود لأنها منبثقة عن حقيقة اجتماعية ، والحقيقة الاجتماعية منبثقة عن الإنسان " . قلت : ومتى كان النص حقيقة اجتماعية منبثقة عن الإنسان فإن موضوعه لا يكون إلا الإنسان رؤية ، سماعا وشعورا ، موقفا وحلما ، وبهذا المعنى فدراسة النص الأدبي بحث في جماليات الأسلوب ورصد للمعاني الثورية والظواهر النفسية من خلال محاولة استكشاف البنى اللاشعورية للظاهرة الأدبية ، فيصح اعتباره مفتاحا آخر لمعرفة الإنسان ، ولست أرمي بهذا التصور أبدا إلى اعتبار النص وثيقة تاريخية أو اختبارا نفسيا تحليليا ، ولكني أنظر إلى النص الأدبي كشكل متميز يخفي مضمونا متميزا عن كل المضامين الوثائقية الأخرى .

على أنني في دراستي للمعلقة كنت أحاول في كل مرة مقارنة هذا التصور في التحليل ، وهو الأمر الذي قادني إلى نتيجتين أساسيتين هما :

جانب توازن النص ، شكلا ومضمونا وهو ما كشف عنه تحليل مبنى الحرف وعلاقات توزيع الفعل على الشرائح النصية من حيث الدلالة على الحدث بشكل خاص.

جانب القيم النفسية والاجتماعية أو البنى اللاشعورية لظاهرة النص اللغوية التي تم التوصل إليها من خلال تأويل نتائج التحليل في السياق اللغوي ، وقد لوحظ أنها لم تتعارض مع المعطيات المعروفة عن السياق الثقافي للأدب الجاهلي ، وقد أثرت تسميتها الشخصية الأدبية للنص كما أسماها عبد الله الغدامي " المُعَيَّب النصي " .

حيث لم تدع قراءة الجانبين مجالا للشك في وحدة النص شكلا ومضمونا ، ما يجعل القول بالانتقال الكلي للنص يفقد عصا التحسس في عمه القراءة السطحية ، من مثل قول الأستاذ ، رجب بلشير في المعلقة : " لقد انساق الرواة البدو والوضّاعون أحيانا كثيرة وراء الاستيحاء اللفظي ، فنظموا مقاطع وصفية مسهبة تراكمت فيها ألفاظ فريدة في بابها وتشبيهات متكلفة مع التوازن والمقابلة ،

وتحتوي النصوص المتداولة تمارين مدرسية موفقة إلى حد ما ، وثمة نموذج مشهور منسوب إلى طرفة في معلقته يصف ناقته " . يفضي بنا هذا القول إلى الحكم على المعلقة بأنها نص تساهمي جماعي اشتركت في صنعه أكثر من ذات ، لولا أن القول بتعدد الذات المبدعة في النص ينجرُّ عنه اختلاف الأساليب وتعددتها واختلال توازن النص ، الأمر الذي فنده التحليل السابق ، وكشف عن إمكانية الحديث عن وحدة عضوية في النص الجاهلي من منطلق وحدة الصراع المودعة في البنى اللاشعورية للنص المدروس .

ولست أزعم أنني قدمت تفسيراً شاملاً للنص ، وإنما هي قراءة نموذجية أفرزتها معطيات تحليل المعاني الوظيفية لمباني التصريف والتركييب في غياب مستوى الصوت والدلالة .
وقد رأيت مرة أخرى أن أتعامل مع الجانب الثاني من نتائج التحليل المتعلق بالشخصية الأدبية والمغيب النصي خارج حدود النص ، للوقوف على بعض عناصر الوعي الجماعي للمجموعة العربية في عملية إسقاطية لتلك الشخصية على الواقع العربي اليوم ..؟.

لقد تبعثرت شخصية النص بين معطيات متضاربة ، من تسلط النزعة المادية والبساطة العقلية والاجتماعية ، الانغلاق النفسي والركود الاجتماعي ، النزعة الاندفاعية التحررية وحالات الانهزام وضياح المستقبل في حنين الماضي وشهوة الحاضر ، ثم التدني الحضاري والعقلية التجزئية مع تعاضم النزعة الفردية وأزمة المرأة في المجتمع ، ثم عقدة الانتماء الاجتماعي ..
قلت عبر مجموعة من الأسئلة :

ألم نستبدل جلّ قيمنا الروحية بقيم مادية أضحت مميّزا سلوكيا للمجتمع ...؟ .
أليس يعيش العربي بساطة عقلية واجتماعية وتخلفا بين الأمم يثير اللوعة في النفوس ...؟.
أوليس يعيش الإنسان العربي انغلاقا نفسيا واجتماعيا فقد معهما معرفة القيم الحقيقية التي ينهض بها ...؟.

أليس يريح الإنسان العربي تحت وطأة انهزامية منذ عصور الضّعف والاحتلال ، فيُحس من نفسه نزعة نحو التحرر من مكبلات سياسية وحضارية لولا عرف كيف يثور ...؟.
أوليس يبكي العربي على ماض جميل ، فيبرر ضياح المستقبل بفشل الحاضر الذي يستهلك فيه فواحش الآخر ...؟.

أليس يعيش العربي شاكا في كل القيم تسيطر عليه فلسفة الحيرة والاغتراب ...؟.
أليس يعيش العربي بفكر تجزئي ، أولى مظاهره في تجزيء أمته ...؟.

أليس يعيش العربي معتدا بذاته تسيطر عليه النزعة الفردية إلى حد أوجد أزمة الانتماء على اختلاف أشكالها...؟.

... لعمري إنها المطابقة الكلية لمعطيات الشخصية الأدبية للنص مع معطيات الشخصية الاجتماعية للمجتمعات العربية في الوقت الراهن ..

فهل كانت تلك الشخصية نموذجا أصلا نحن صور مستنسخة عنه ..؟.

لماذا يستطيع " طرفة " أن يُعَيَّرَ عنا منذ ستة عشر قرنا من الزمن تقريبا بكل أبعادنا الشخصية والقومية ، بينما تعجز النماذج المستنسخة في العالم العربي اليوم عن التعبير عن حقيقة ما نحن فيه ..؟.

لأن " طرفة " يقول أدبا يستوعب حركة المجتمع الذي هو فيه ، وعندما يتنكر لبعض الأعراف القبلية يُشيع فيها قيما أخرى بوصفه عنصرا منتجا ينتمي إليها ، أما النماذج المستنسخة الحالية فتكتب أدبا وفق معايير نقدية ومضامين فلسفية مستوردة ، وحين تشتد عاصفتها على مظاهر التخلف الاجتماعي والاستبداد السياسي تسقط في مركزية الآخر ... وللقارئ أن يجيب على الأسئلة المطروحة والتي لم تطرح ..

الملاحق

ملحق نسب المباني :

(1) : البنى المصرفية

- مباني أقسام الكلم :

الاسم	الفعل	الحرف	الضمائر	مباني أخرى
% 40.11	% 13.43	% 23.00	% 19.98	% 03.39

- المباني الاسمية :

الجامد	المشتق
% 58.45	% 41.34

- مباني الجامد :

اسم الجثة	اسم الحدث	اسم المعنى	اسم الجنس	اسم العلم
% 62.26	% 17.92	% 11.63	% 04.08	% 04.08

- مباني المشتق :

اسم الفاعل	اسم المفعول	الصفة المشبهة	صيغ المبالغة	اسم الآلة	مباني أخرى
% 23.00	% 18.14	% 36.72	% 06.63	% 00.88	% 14.15

- مباني أخرى للجامد والمشتق :

المُعرّف	المُنكر	المفرد	المجموع	المذكر	المؤنث
% 30.69	% 69.30	% 78.12	% 15.07	% 75.18	% 24.81

- المباني الفعلية :

- توزيع الفعل على الشرائح :

الشريحة الأولى	الشريحة الثانية	الشريحة الثالثة
% 10.38	% 28.41	% 61.20

- دلالاته على الزمن :

المستقبل	الحاضر	الماضي
% 02.73	% 32.78	% 60.10

- المباني الحرفية :

حرف الواو	حرف الكاف	حرف الباء	حرف على	حرف اللام	حرف الفاء
% 28.53	% 13.92	% 13.92	% 28.28	% 08.43	% 06.75

(2) : البنى التركيبية

الجملة الاسمية	الجملة الفعلية
% 31.89	% 68.10

- أنماط الجملة الاسمية :

الأنماط الأصالية	الأنماط الفرعية
% 71.08	% 28.91

- أنماط الجملة الفعلية :

الأنماط الأصالية	الأنماط الفرعية
% 79.48	% 20.51

- شكل الجملة الفعلية :

جمل اللزوم	جمل التعديّة
% 18.66	% 81.33

- علاقات التعديّة في الجملة الفعلية :

علاقة التخصيص	علاقة الحالية	علاقة التوكيد
% 82.97	% 10.63	% 06.38

- مباني التراكيب غير الإسنادية :

التركيب الوصفي	التركيب الإضافي
----------------	-----------------

% 66.92	% 33.07
---------	---------

- علاقات التركيب الإضافي :

علاقة التبعيض	علاقة التملك	علاقة الطرفية
% 23.52	% 68.23	% 08.23

ملحق نص المعلقة :

لخولة أطلال ببرقة تُهمد
وقوفا بها صحبي عليّ مطيهم
كأن خدوج المالكية غدوة
عدولية أو من سفين بن يامن
يشق حباب الماء حيزومها بها
وفي الحي أحوى ينفض المرد شادن
خذول تراعى ربربا بخميلة
وتبسم عن ألمى كأن منورا
سفته إياة الشمس إلا لثاته
ووجه كأن الشمس حلت رداءها
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
يقولون لا تهلك أسى وتجد
خلايا سفين بالنواصف من دد
يجور بها الملاح طورا ويهتدي
كما قسم الترب المفائل باليد
مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد
تناول أطراف البرير وترتدي
تخلل حرّ الرمل دعص له ندي
أسفّ ، ولم تكدم عليه بإثمـد
عليه ، نقيّ اللون لم يتخذ

وإني لأمضي الهمّ عند احتضاره
أمون كألواح الأران نصاتها
جمالية وجناء تردي كأنها
تباري عتاقا ناجيات وأتبع
تربعت القفين بالشول ترتعي
تريع إلى صوت المهيب وتتقي
كأن جناحي مضرحي تكنفا
فطورا به خلف الزميل وتارة
لها فخذان أكمل النحض فيهما
وطي محال كالحني خلوفه
كأن كناسي ضالة يـكنفانها
لها مـرفقان أفتلان كأنها
كقنطرة الرومي أقسم ربّها
صهابية العثون مـوجدة القرى
بعوجاء مرقال تروح وتغتدي
على لاحب ، كأنه ظهر بـرجد
سفنجة تبري لأزعر أربد
وظيفا وظيفا فوق مور مُعبّد
حدائق مولي الأسرة أغيـد
بذي خصل روعات أكلف ملبد
خفافيه شكافى العسيب بمسرد
على حشف ، كالشن داو مجدد
كأنهما بابا منيف ممرد
وأجرنة لزّت بدأي منضد
وأطر قسي تحت صلب مؤيد
تمرر بسلمى دالج متشدد
لتكتنفن حتى تشادج بقـرمد
بعيدة وخذ الرجل مـوارة اليد

أمرت يداها قتل شزر وأجنحت
جنوح دفاق عندل ثم أفرعت
كأن غُلوب النسع في دأياتها
تلاقى وأحياناً تبين كأنها
وأتلع نهاض إذا صعدت به
وجمجمة مثل العلاة كأنما
وحد كقرطاس الشأمكي ومشفر
وعينان كالماويتين استكنتا
طحوران عوار القذى فتراهما
وصادقتا سمع التوجس للسرى
مؤلتان تعرف العنق فيها
وأروع نباض أحد مللم
وأعلم مخروت من الأنف مارن
وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت
وإن شئت سامى واسط الكور رأسها
على مثلها أمضي إذا قال صاحبي
وجاشت إليه النفس خوفاً وخاله
إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني
أحلت عليها بالقطيع فأجذمت
فذالت كما ذالت وليدة مجلس

لها عضداها في سقيف مسند
لها كتفاها في مُعالى مصعد
موارد من خلقاء في ظهر قردد
بنائق غرّ في قميص مقدد
كسكان بوصي بدجلة تصعد
وعى الملتقى منها إلى حرف مبرد
كسبت اليماني قده لم يـجرد
بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد
كمحولتي مذعورة أم فرقد
لهجس خفي أو لصوت مندد
كسامعني شاة بحومل مفرد
كمرداة صخر في صفيح مصمد
عتيق متى ترجم به الأرض تزدد
مخافة ملوي من القد محصد
وعامت بضبيعتها نجاء الخفيدد
ألا ليتني أفديك منها وأفندي
مصابا ولو أمسى على غير مرصد
عُنيت فلم أكسل ولم أتبلد
وقد خب آل الأمعز المتوقد
تري ربها أذيال سحل ممدد

ولكن متى يسترفد القوم أرفد
وإن تقنتصني في الحوانيت تصطد
تروح علينا بين بـرد ومجسد
بجس الندامى بضة المتـجرد
على رسلها مطروفة لم تشدد

ولست بحلال التلاع مخافة
فإن تبغني في حلقة القوم تلقني
نداماي بيض كالنجوم وقينة
رحيب قطاب الجيب منها رقيقة
إذا نحن قلنا أسمعنا أنبرت لنا

إذا رجعت في صوتها خلت صوتها
وما زال تشرابي الخمر ولذتي
وإفريقي وإنفاقي طريقي ومتلدي
وأفردت أفراد البعير المُعبّد
ولا أهل هذالك الطراف الممدد
وأنا أشهد اللذات هل أنت مخلدي
فدعني أبادرها بما ملكت يدي
وجدك لم أحفل متى قام عودي
كميت متى ما تعل بالماء تزيد
كسيد الغضا نبهته المـتورد
وتقشير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنة تحت الطراف المعمد
كأن البرين والدمايح علقت
على عشر أو جروح لم يخضد
كريم يروي نفسه في حياته
ستعلم إن متنا غدا أينما الصدي
أرى قبر نحام بخيل بماله
كقبر غوي في البطالة مفسد
تري حثوتين من تراب عليهما
صفائح صم من صفيح منضد
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي
عقيلة مال الفاحش المـتشدد
أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة
وما تنقص الأيام والدهر ينفد
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى
لكالطول المـرخى وثنياه باليد
يلوم وما أدري علام يلومني
كما لامني في الحي قرط بن معبد
فمالي أراني وابن عمي مالكا
متى أدن منه ينأ عني ويبعد
وأياسني من خير طلبته
كأنا وضعناه على رمس ملحد
على غير ذنب قلته غير أنني
نشدت فلم أغفل حمولة معبد
وقربت بالقربي وجدك أنني
متى يك أمر للنكيثة أشهد
وإن أدع للجلى أكن من حُماتها
وإن يقذفوا بالقذع عرضك أسقهم
بلا حدث أحدثته وكمحدث
فلو كان مولاي امرئ هو غيره
هجائي وقذفي بالشكاة ومطردي
لفرج همي أو لأنظرني غدي

ولكن مولاي امرؤ هو خانقي
وظلم نوي القربى أشد مضاضة
فذرني وخلقني إنني لك شاكر
فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد
فأصبحت ذا مال كثير وزارني
أنا الرجل الذي تعرفونه
فأليت لا ينفك كشحي بطانة
حسام إذا ما قمت منتصرا به
أخي ثقة لا يبتني عن ضريبة
إذا ابتدر القوم السلاح وجدنتي
وبرك هجود قد أثارت مخافتي
فمرت كهاة ذات خيف جلالة
يقول وقد تر الوظيف وساقها
وقال ذروه إنما نفعها له
فظل الإمام يمتلن حوارها
فإن مت فانعيني بما أنا أهله
ولا تجعليني كامرئ ليس همه
بطيئ عن الجلى سريع إلى الخنا
فلو كنت وغلا في الرجال لضرني
ولكن نفى عني الرجال جراتي
لعمرك ما أمري علي بغمة
ويوم حبست النفس عند عراكه
على موطن يخشى الفتى معه الردى
وأصفر مضبوح قد نظرت حواره
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تبع له
على الشكر والتسأل أو أنا مفقدي
على المرء من وقع الحسام المهند
ولو حل بيتي نائيا عند ضرغد
ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد
بـنون كرام سادة لمسود
خشاش كراس الحية المتوقد
لعضب رقيق الشفرتين مهند
كفى العود منه البدء ليس بمعضد
إذا قيل مهلا قال حاجزه قدي
منـيعا إذا بلت بقائمه يدي
بواديهـا أمشي بعضب مجرد
عقيلة شـيخ كالوبيل يندد
ألست ترى أن قد أتيت بمؤبد
وإلا تكفوا قاصي البرك يردد
ويسعى علينا بالسديف المسرهد
وشقي علي الجيب يا ابنة معبد
كهـمي ولا يغني غنائي ومشهدي
ذلول بأجماع الرجال ملهد
عداوة ذي الأصحاب والمتوحد
عليهم وإقدامي وصدقي ومحتدي
نـهاري ولا ليلي علي بسرمد
حـفاظا على عوراته والتهدد
متى تعترك فيه الفرائص يردد
على النار واستودعته كف مجمد
ويأتيك بالأخبار من لم تزود
بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

نص المعلقة مأخوذ من كتاب :
شرح المعلقات السبع للزّوزني .

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم (رواية ورش) .

المصادر :

1. أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل بيروت ، ط3 د ت .
2. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، المقتضب ت محمد عبد الخالق عضيمة عالم الكتب مصر د ت ط .
3. أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، ت ع الحكيم بن محمد ، المكتبة التوفيقية ، د ت ط .
4. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ت الدكتور مفيد قميحة والأستاذ أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الثانية 2005 .
5. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، أدب الكاتب ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ، 2003 .
6. أبو منصور الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ت مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي دار الفكر الطبعة الثالثة .
7. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، ت د . درويش جويدي ، المكتبة العصرية صيدا بيروت لبنان ، 2001 د ط .
8. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، ت علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية صيدا بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 2006 .
9. ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ، بتحقيق وشرح محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث القاهرة مصر الطبعة الأولى 1999 .
10. ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ت محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ط1 ، 1999 .
11. ابن خلدون ، المقدمة . دار ومكتبة الهلال ، الطبعة الأخيرة ، 2000 .
12. ابن مالك ، الألفية ،
13. ابن المقفع ، الأدب الصغير والأدب الكبير ، ت د . إنعام فوال ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، 2007 د ط .

14. أحمد بن محمد بن أحمد الحملوي ، شذا العرف في فن الصرف ، دار الكتب العلمية ، 200 د ط .

15. أحمد بن الحسين بن الخباز ، توجيه اللمع ت.أ.د. فايز زكي محمد دياب دار السلام مصر الطبعة الثانية . 2007

16. الخليل بن أحمد الفراهيدي ، الجمل في النحو ، ت.د. فخر الدين قباوة ، الطبعة الخامسة 1995 .

17. الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، دار الآفاق ، د ت ط .

18. الزمخشري ، الكشاف ، ت محمد مرسي عامر ، دار المصحف ط2 ، 1977 .

19. الزمخشري ، المفصل ، دار ومكتبة الهلال ، 2003 ، د ط .

20. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ت.أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1998 .

21. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المزهرة في علوم اللغة العربية وأنواعها ت فؤاد علي منصور دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى . 1998

22. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، دار مصر للطباعة د ت ط .

23. الشيخ خالد الأزهرري ، شرح متن الأجرومية ، مطابع مصر القديمة ، د ت ط .

24. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ت محمد عبده ومحمد محمود الشنقيطي، دار المعرفة بيروت لبنان ، الطبعة الثانية 1998 .

25. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ت.د. محمد الإسكندراني و.د. م. مسعود ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الثانية 1998 .

26. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، البلغة في تاريخ أئمة اللغة ، ت بركات يوسف هبود المكتبة العصرية صيدا بيروت لبنان الطبعة الأولى 2001 .

27. محمد بن علي الصبان، الحاشية على شرح الأشموني على الألفية، دار الفكر بيروت لبنان 2003 د ط .

28. محمد بن عبد الغني الأردبيلي ، شرح الأنموذج ، ت لخضر شعلال ، المؤسسة الجزائرية للطباعة، د ت ط .

المراجع :

29. أبو وحيد تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة 1998 .
30. أحمد أمين النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الخامسة 1983 .
31. أحمد المتوكل ، الوظيفة بين الكلية والنمطية ، دار الأمان الرباط المغرب ، الطبعة الأولى 2003.
32. أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، عالم الكتب الطبعة الخامسة 1998 .
33. أحمد حساني ، السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية مقارنة لسانية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د ت ط .
34. أحمد مؤمن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، الطبعة الثانية 2005 .
35. أمير عبد العزيز ، دراسات في القرآن الكريم دار الشهاب باتنة الجزائر ، الطبعة الثانية 1988 .
36. جمال شحيد ، في البنيوية التركيبية دراسة في منهج لوسيان غولدمان ، ابن رشد للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1982 .
37. حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، دار الجيل ، د ت ط .
38. حسن ناظم ، البنى الأسلوبية دراسة في أنشودة المطر للسياب ، عالم الكتب د ت ط .
39. خليل أحمد عميرة ، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي ، دار وائل للنشر والتوزيع عمان ، الطبعة الأولى 2004 .
40. ديتير فيهفيجر وفولفجانج هايني منه ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، تر فالح شبيب العجمي ، دار المعرفة ، 2000 د ط .
41. رجيس بلاشير ، تاريخ الأدب العربي ، تر إبراهيم الكيلاني ، الدار التونسية للنشر ، الطبعة الأولى 1986 .
42. رينيه وليك وأوستن وارين نظرية الأدب ، تر : محي الدين صبحي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، د ت ط .
43. سامي عياد حنا ، معجم اللسانيات الحديثة ، مكتبة لبنان ، 1997 د ط .
44. صبيح التميمي ، هداية السالك إلى ألفية بن مالك ، دار الهداية قسنطينة ، الطبعة الثانية 1990 .

- 45.صلاح فضل ، مناهج النقد المعاصر ، دار الأفاق العربية ، د ت ط .
- 46.صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية.
- 47.صالح بلعيد ، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1994 .
- 48.عباس حسن ، النحو الوافي ، دار المعارف القاهرة ، الطبعة السابعة ، د ت .
- 49.عبد السلام المسدي ، التفكير اللساني في الحضارة في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب د ت ط .
- 50.عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1977 .
- 51.عبد السلام المسدي ، اللسانيات وأسسها المعرفية ، المؤسسة الوطنية للكتاب د ت ط .
- 52.عبد الملك مرتاض ، النص الأدبي من أين وإلى أين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د ت ط .
- 53.عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي ، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، الطبعة الأولى 2001 .
- 54.عز الدين المجذوب ، المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة ، دار محمد علي الحامي ، الطبعة الأولى 1998 .
- 55.محمد حسن عبد العزيز ، دوسوسير رائد علم اللغة الحديث ، عالم الكتب ، د ت ط .
- 56.محمد صديق بشير ، المعلقات السبع دراسة في الصور والأغراض والأساليب ، عالم الكتب ، 1994 د ط .
- 57.مصطفى فاضل الساقى ، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، مكتبة الخاتمي القاهرة 1994 د ط .
- القواميس :
- 58.أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، جمهرة اللغة ، ت إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 2005 .
- 59.ابن منظور الإفريقي ، لسان العرب ، ت د خالد رشيد القاضي ، دار صبح وإيدي سوفت لبنان ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى 2006 .
- 60.محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، المكتبة العصرية صيدا بيروت لبنان ، 2003 د ط .

الدواوين :

61.ديوان طرفة بن العبد ، دار صادر بيروت لبنان د ت ط .

62.ديوان امرئ القيس

63.ديوان زهير بن أبي سلمى دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1 2005.

64.ديوان لبيد بن ربيعة ، دار صادر بيروت لبنان د ت ط .

65.ديوان عنتر بن شداد دار صادر بيروت لبنان د ت ط .

66.ديوان عمرو بن كلثوم

67.ديوان الحارث بن حلزة اليشكري

المجلات :

68. أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية ، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية تونس ، 1978 .

- مقال الدكتور عبد السلام المسدي، مدخل إلى النقد الحديث، ص 206 .

- مقال الدكتور حمادي صمود ، المناهج اللغوية في دراسة الظاهرة الأدبية ص239.

69.مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، مجلة جامعة باتنة ، عدد خاص ، ديسمبر 2001 .

- مقال للدكتور الشريف ميهوبي ، الجملة العربية مفهومها وحدود بنائها في نظر النحاة القدامى ص 125 .

70. مجلة العربي ، الأعداد :

- 443 سبتمبر 1990 . مقال الدكتور جابر عصفور النموذجان النقيضان ص 76 .

- 429 أوت 1991 . مقال الدكتور جابر عصفور عالم الشاعر الجاهلي ص ص 72 .

71.عالم المعرفة ، اللغة والاقتصاد تأليف فلوريان كولماس ترجمة د . أحمد عوض مراجعة عبد السلام رضوان ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ، نوفمبر 2000 .

الدوريات :

72.في التركيب النحوي لشعر النقائض رسالة ماجستير الأستاذ لخضر بلخير جامعة باتنة .

73.البنية اللغوية لقصيدة البردة رسالة ماجستير الأستاذ رابح بوحوش جامعة عنابة .

مراجع بالأجنبية :

Ferdinand De Saussure; Cours de linguistique générale ;E . talantikit
.Bejaia.2002.

Emile Benveniste ; problèmes de linguistique générale .Cérès E .
Tunis 1995.

Le petit Larousse; Larousse .France .1993

فهرس الموضوعات :

الصفحة	الموضوع
04	مقدمة
10	تمهيد
18	تأثيرات البيئة الجاهلية على الأدب
22	لخولة أطلال في ميزان الشرح والتفسير
25	تطور الدراسات الوظيفية وتطبيقاتها
29	خاتمة
31	المعاني الوظيفية للبنى الصرفية
33	معاني الأسماء الجامدة
47	معاني الأسماء المشتقة
52	معاني الجامد والمشتق
52	معاني التعريف والتنكير
58	معاني المفرد والجمع
65	معاني المذكر والمؤنث
72	المعاني الوظيفية لمبنى الفعل
72	الدلالة على الحدث
75	الدلالة على الزمن
78	المعاني الوظيفية لمبنى الحرف
79	حرف الفاء
80	حرف اللام
82	حرف على
83	حرف الباء
84	حرف الكاف

85	حرف الواو
87	بين الاسم والفعل والحرف
88	خاتمة
91	المعاني الوظيفية لبنى التركيبية
95	المعاني الوظيفية لمباني الجملة الاسمية والفعلية
109	معاني الأنماط الأصلية والفرعية في الجملتين
118	معاني التراكيب الإسنادية الرئيسية وغير الرئيسية في الجملة الفعلية
126	المعاني الوظيفية لمعاني التراكيب الإسنادية الرئيسية وغير الرئيسية
133	المعاني الوظيفية للتراكيب غير الإسنادية
133	التركيب الوصفي والتركيب الإضافي
142	معاني مباني الإضافة
144	خاتمة
148	الخاتمة
153	الملاحق
154	ملحق نسب المباني
157	ملحق نص المعلقة
162	قائمة المصادر والمراجع
168	فهرس